

دكتور عبد الودود شلبي

التنزيل
المقدس

دارالشروق

**التزوير
المقدس**

الطبعة الأولى
١٤٠٥ - ١٩٨٥

جميع حقوق الطبع محفوظة

دارالشروع

دكتور عبد الودود شلبي

**التنزوير
المقدس**

دارالشروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

في مطلع القرن الخامس عشر الهجري شددت الرجال إلى استراليا
مثلاً لـ «رابطة العالم الإسلامي» في هذه القارة ...
لم أقم هناك أكثر من ستة واحدة .. ولكن أني ستة تلك التي أقمنا
في استراليا ... ؟

درباً عجيبة ... وعالم مختلف فيه الصور والأجناس . والعقائد والألوان
لتصنع بالخلطها منزجاً من المجتمعات الغريبة في هذه الدنيا .
كنت كمن يسير على الصراط وسط هرج المواصف ... وجبل
الأمواج متلماً - بالإسلام والملمين - طريق النجاة وسط بحار
الشوك والضياع ...

صراع متفجر في داخل النفس . وحوار متجدد بين الإسلام
ومختلف العقائد والمذاهب المتضادة في هذا العصر ...
ماذا يقولون عن الإسلام ؟

هذا هو السؤال الذي شغل بالي كثيراً . وفكرت فيه طويلاً . وكان
من ثمرته هذه الدراسات أو الفصول التي سوف تقدم «بمشيئة الله»
إلى القارئ المسلم وغير المسلم - تباعاً .

لكن ماذا عن أستراليا ؟ ولل المسلمين وكيف وصلوا إلى
أستراليا .. ؟

لقد أفردنا فصلاً خاصاً من هذه الرسالة للإجابة على هذا السؤال ...
وسيرى القارئ بعد قراءته لهذا الفصل أن الإسلام كان من الممكن
أن يلعب دوراً هاماً في مستقبل هذه القارة لو لا الصغوط والظروف التي
حالت بين الإسلام وقيامه بهذا الدور ... ولو لا العجز والقصور الذي
تنسم به حياة المسلمين في هذا العصر ...

الإسلام .. والمسلمون ..
في أستراليا

أستراليا ... أو البلاد الجنوبيه ..
 الجنوبيه بالنسبة لخط الاستواء .. أو الجنوبيه بالنسبة للأقيا .. أو
 الجنوبيه لنهرها من القطب الجنوبي المتجمد .
أستراليا ... هذه القارة الجديدة .. البعيدة ...
 ذات الخمسة عشر مليوناً من الناس .. ما هي وماذا تكون .. ؟
 إن أستراليا تبلغ في الحجم حجم الولايات المتحدة^(١) الأمريكية
 ولكن تعداد سكانها أقل من عشرة ملايين سكان الولايات المتحدة
 الأمريكية وهي أكبر خمسة وعشرين مرة من بريطانيا وإيرلندا .
 أستراليا هي أصغر قارات العالم ولكنها أكبر جزائره وهي في
 نفس الوقت أقل قارات العالم والجزائر كثافة السكان .
 طول السواحل الأسترالية التي تشبه الكثري حوالي ٢١,٢١٠ ميل
 وأطول أنهارها هو نهر دارلينج الذي يبلغ ١,٧٠٢ ميل وبليه في الطول

(١) لقد اعتمدنا في هذه الاحصائيات على ما كتبه الدكتور / محمد العربان الأستاذ بالجامعة الأسترالية .

في الطول نهر الموري الذي يبلغ ١٦٠٩ ميل .

و أكبر الولايات الأسترالية هي ولاية غرب أستراليا التي تساوي تقريباً ثلث مساحة أستراليا برمتها ومساحتها ٩٧٥.٩٢٠ ميلاً مربعاً . ولقد أنشئت الولايات المتحدة الأسترالية الراهنة كوحدات مستقلة

على النحو التالي :

New South Wales	نيو سوت ويلز	سنة ١٧٨٦
Tasmania	تسمانيا	سنة ١٨٢٥
Western Australia	غرب أستراليا	سنة ١٨٢٩
South Australia	جنوب أستراليا	سنة ١٨٣٤
Victoria	فيكتوريا	سنة ١٨٥١
Queensland	كويتي لاند	سنة ١٨٥٩
Northern Territory	الإقليم الشمالي	سنة ١٨٦٣
Canberra	العاصمة الأسترالية	سنة ١٩١١

وتجدر بالذكر أن نيوزيلندا كانت في وقت من الأوقات (١٨٤٠)تابعة لولاية نيو سوت ويلز ولكنها أصبحت مستعمرة قائمة بذاتها سنة (١٨٤١) .

ولقد سميت أستراليا بالقاربة المجدودة والقاربة المحظوظة وسيتم مقارنة المستقبل وسيتم بالقاربة اللاهية التي تعطى نصف وقتها لرياضة وكل وقتها للسقاوة والباقي للرحلات !

وسيتم بالقاربة السياحة (نسبة إلى شرب البيرة) . ومن طريق ما يذكر أن من بين كل ٩٥ أملاً أسترالية فإن واحدة منها تلد توأم من واحدة من كل ١٠٣٠٩ أمهات تلد ثلاثة توائم .

وأن عدد النساء الأرامل يزيد على عدد الرجال الأرامل ثلاثة مرات ونصف مرة . !

كما أن متوسط العمر في أستراليا ٦٨ سنة للرجال و٧٤ سنة للنساء .
وخلال الحرب العالمية الثانية وأثناءها شهدت أستراليا أكبر حركة هجرة إليها وكان هؤلاء المهاجرون يسمون بالأستراليين الجدد : ويستهلك الأستراليون في المتوسط في العام بالنسبة للفرد :

٢٢٥ رطلاً من اللحم .

٢٩ جالوناً من اللبن .

١٧٧٥ رطلاً من الفاكهة .

١٧٧٥ رطلاً من السكر .

٥٧٥ رطلاً من الشاي .

٢٥ رطلاً من البن .

٤٤ جالوناً من البيرة .

وكان متوسط استهلاك الأستراليين من السجائر في سنة ١٩٦٧
..... ٢١.٠٠٠ سجارة في السنة .

وتعتبر أستراليا خامس دولة في العالم في نسبة استهلاك البيرة وذلك طبقاً لاحصاء سنة ١٩٦٧ . أما اليوم فربما تغير ترتيبها إلى الرابعة أو الثالثة لأنها في تقدم مستمر !

ومن الآثار المأثورة حتى لوسون :

إن البيرة الأسترالية تجعلك تشعر كما لا يبني لك أن تشعر بدون البيرة . . والأستراليون يستهلكون أربعة ملايين غالون من المشروبات الكحولية لكل عام . . !

وتعتبر أستراليا ثالثي دولة في العالم بعد أمريكا في نسبة استيراد الويسيكي ذلك أن أستراليا تستهلك عشرة ملايين زجاجة ويستهلك في السنة .

ولا أذكر أنتي جلت في مطعم ووجدت دورق مياه على المائدة رغم أن حوالي ٣٩٪ من أستراليا محصور بين المدارين . بل والأعجب من ذلك أنتي عندما أطلب الماء من النادل ينظر إلي وكأنني أنت فعلاً فاضحاً ١ .

وتشير الإحصاءات إلى أن عدد الذين يموتون بأمراض القلب في أستراليا يفوق عدد من يموتون بأي سبب آخر . وحسب إحصاءات سنة ١٩٦٤ فإن ٧٧٪ من جميع أسباب الوفاة في أستراليا يرجع إلى أمراض القلب . كما أن في أستراليا أكبر نسبة في العالم لسرطان الجلد الذي يشكل ٧٠٪ من نسبة كل أنواع السرطان الأخرى . أما بالنسبة للأذنان فإن ٦٢٪ من الأستراليين يعانون من عطب في أسنانهم .

ومنذ سنة ١٩٥٠ فإن أطفال المدارس يزودون باللين بالمجان على سبيل الوقاية من أمراض الأسنان .

إن أكثر من أربعين بالمائة من سكان أستراليا اليوم مهاجرون وقدوا إليها بعد الحرب العالمية الثانية .

وأستراليا أمة متعددة - ثقافياً ولهذه الظاهرة مصامين بعيدة المدى .

أما عن سكان أستراليا الأصليين المعروفين بالأبورينجبيز New Australian فيحدثنا التاريخ أنهم وجدوا على أرض الفاربة منذ عشرة آلاف إلى ١٢٥٠٠ سنة على أرجح الأقوال .

وتشير الدلالات الراهنة إلى أنهم نزحوا إلى أستراليا من جنوب شرق آسيا عبر أندونيسيا خلال طريقين رئيسيين : غرباً الجديدة ومضيق ستريت وكيب يورك .
وخلال تيمور وشمال غربي أستراليا .

وفي بداية استعمار الرجل الأبيض هذه القارة على نحو مستمر في سنة 1788 كانت توجد خمسة لغات، أبو رجينة وحوالي 680 لغة من لهجات القبائل .

وكان متوسط عدد كل قبيلة يتراوح بين 400 و 400 وعددها الإجمالي 300,000 نسمةألف .

وقصة إبادة الأبوريجينيين خصوصاً في تسمانيا تلخص الرجل الأبيض المستعمر بوصمة عار أبديه .

وفي أستراليا اليوم دراسات ومحاولات جادة للنهوض بأحوالهم ورد اعتبارهم ومساواتهم في الحقوق والواجبات بقية المواطنين .
وال المشكلة في أساسها تربوية واجتماعية وتحتاج إلى وقت طويل .
وبالنسبة لكتافة السكان في أستراليا فتجدر بالذكر أن أول تعداد رسمي لأستراليا كان في سنة 1828 .

وتعتبر أستراليا من أقل القارات كثافة في السكان (٣٠٢ / نسمة في كل ميل مربع) .
وأعلى نسبة هي - ٢٣١ - أوروبا .
و - ١٦٣ - آسيا .

وأقل نسبة - ٢ - ليبيا .

وكان تعداد السكان في أستراليا سنة 1858 حوالي مليون نسمة

وأصبح خمسة ملايين في سنة ١٩١٨ وعشرة ملايين سنة ١٩٥٩ .
وخمسة عشر مليوناً في سنة ١٩٨٣ .

Australasia كانوا يطلقون عليها من قبل اسم استراليا
Oxford وهذه الكلمة كما يفسرها لنا قاموس أكسفورد
كانت تطلق على أستراليا والجزر المجاورة لها .

ومعنى هذا .. أن أستراليا .. وجزر فيجي جينيا وجزر الهند الشرقية .. المعروفة اليوم باسم إندونيسيا وبلاد الملابي .. أو ما يعرف اليوم باسم ماليزيا كانت تعتبر منطقة جغرافية واحدة .. وبالتالي فإن تبادل الزيارات بين أستراليا وهذه الجزر كانت قدية ووثيقة . وهي زيارات تقليدية لا تزال تحدث حتى هذا اليوم .. وسواء أكانت هذه الزيارات اختيارية لصيد السمك والثلو .. أم اضطراريه بفعل الأنواء والعواصف . فقد وجد العلماء آثاراً ومخلفات لزيارات قام بها بعض سكان الملابي وإندونيسيا إلى الشاطئ الشمالي الغربي من أستراليا .. إلا أن هذه الزياراتتوقفت عند الشاطئ .. ووقفت الصحاري والقفار مانعاً عن التوغل إلى الداخل ..

وسرى فيما بعد .. أن هذا المانع الصحراوي الذي وقف حائلاً في طريق التوسيع إلى الداخل .. كان هو السبب الحقيقي لانتشار الإسلام في القريب العاجل ..

كان أول اتصال لأستراليا بالتاريخ الحديث في أبريل ١٧٧٠ م ففي هذا الشهر هبط الكابتن كوك^(١) James Cook إلى

(١) كان أول بحريي نزل إلى الشاطئ الأسترالي هو وليم دامير، الذي نزل على الساحل الشمالي الغربي ١٦٩٨ م .

الشاطئ الأسترالي في منطقة تعرف اليوم بـ (خليج بوتاني Botany Bay) أحد شواطئ مدينة سيدني عاصمة ولاية نيو سوت ويلز . لقد أصبحت أستراليا - منذ ذلك اليوم - جزءاً من ممتلكات الناج البريطاني أو الإمبراطورية التي لم تكن تغيب عنها الشمس في الواقع والحقيقة .

ولم يك足 يمكفي على اكتشافها عشر سنوات حتى تحولت إلى منفى للمجرمين والخارجين على القانون .. كانت بداية سلسلة من غير شك .. فقد مارس هؤلاء المجرمون هواييهم السابقة مع سكان أستراليا الأصليين «aborigines» .

وكما حدث - للهندوسيون - في أميركا تكررت المأساة نفسها هناك في أستراليا ...

• • •

إن المجتمع الأسترالي جسم أنهكه العلل .. وتمكنت منه الأمراض التي تعرض بقاءه للزوال والخطر . أول هذه العلل شرب الخمر ... وثاني هذه العلل لعب القمار ... وثالث هذه العلل .. الإجرام ...

لقد تشرت إحدى المجلات العلمية .. إن الجريمة كلفت أستراليا في العام الماضي ٣/٠٠٠/٠٠٠ ثلاثة بلايين من الدولارات الأسترالية .

ونقول المجلة :^(١) Bulletin

(١) سنة ١٩٨٠ م .

إن هذه النسبة أو الجريمة سترتفع في هذا العام إلى الضعف .. وقد بدأ التسبيب في الإدارة البوليسية . يأخذ صفة المرض أو التواطؤ .. وقد عزل أكثر من ثلاثة ضابطاً من كبار الضباط نتيجة لهذا الإهانة ..
كما جاء في جريدة صنداي تلغراف . Sunday telegraph
وكما تقول هذه المجلة :

فإن رجال البوليس كانوا يحملون السجناء الأغبياء إلى بيونهم كل ليلة لقضاء هذا الليل في بيونهم .. ثم يعودون بهم في الصباح إلى السجن .. وهكذا كان يتكرر هذا المشهد كل يوم ...

إن معدل ما يشربه الأسترالي من البيرة والخمر شئ مفرغ .. وقد تبنت هيئة الصحة العالمية إلى هذه الظاهرة فحضرت من استبدال دم أى أسترالي بدم أى مريض آخر .. لأن الدماء الأسترالية تحتوى على نسبة عالية من الكحول . والجريب أو المريض الذى تندفع الحاجة إلى استبدال دمه بدم أى أسترالي أشبه بالمتغير من الرمضاء - أى المرض - بالتار أى الكحول أو الدمه الأسترالي المعتق .. !

• • •

في الطريق إلى المسجد أو المركز الإسلامي الكائن عنطقة سري هيلز Surry Hills في شارع الكومنولث Common Wealth

يواجهك مصنع من أكبر مصانع الخمور اسمه Toohey's وعلى مسافة خمسين متراً من المسجد يوجد معهد أو مصحة لعلاج المدمنين اسمه ويليام بووث انتستيتوت William Booth .. وبعد خمسين متراً من المسجد تقائلاً بالساقطين على قارعة الطريق من فrotein الإدمان والشرب .

وعلی بعد مائة وخمسين متراً من المسجد يوجد وكر من أكبر أوکار القمار اسمه Tab ونطقوها باللغة العربية « ناب .. ولا أدرى » ناب من أي شيء أمن الخمر أم من القمار .. أم من الذهاب إلى المسجد ... وقد تعجب إذا سافرت إلى أستراليا .. واخترت لإقامتك مدينة سيدني ... وخطر ببالك أن تقوم بموجة إلى ضاحية اسمها ، مانلي Manly Flsow تعبر كوبرياً جميلاً Harbour Bridge ولكن ترث .. إنك لا بد أن تدفع مبلغاً معيناً قبل هذا العبور بسيارتك إلى الجهة المقابلة من الكوبري ..
أما لماذا ؟ فإنك القصة ..

لقد بني هذا الكوبري منذ حوالي خمسين عاماً .. بنته شركة إنجليزية تعهدت بالاتفاق عليه .. وتقسيط ثمنه .. إن الثمن لم يسد بعد والضرير التي يدفعها راكب السيارة تكاد بالكاد أن تسد فوائد هذا المبلغ .. حتى السكة الحديد ... لقد احتفل بمرور مائة وخمسة وعشرين عاماً على نسير أول قاطرة بخارية في ولاية نيويورك ويلز^(١) لقد أنشأت هذه الهيئة .. هيئة السكة الحديد في سيدني شركة إنجليزية ..

ثم أجرتها بعد ذلك للحكومة الأسترالية نظير مائة وخمسة وعشرين مليوناً من الدولارات سنوياً ..

وقد نص في عقد الإيجار أن تسلم مرافق الهيئة - بعد انتهاء المدة المنفقة عليها في عقد الإيجار - أن تسلمه كاملة وفي حالة جيدة ..

أما هذه الملايين التي تدفع فهي أشبه بالفوائد - أي الربا - الذي
نصلببعه الحياة الأسترالية في كل مرافق . ويعارسه وبأكله كل
أسترالي سواء أكان مسلماً أو غير مسلم ..

* * *

إن الملل والكسل - في أستراليا - ظاهرة تلتفان النظر ... وفي البيوت
والشوارع ومحطات السكك الحديدية تلقى بالكثير من الناس الذين يتحركون
أو يجلسون إلى غير هدف ..

وقد زار رجل أمريكي أستراليا لمدة شهر فلما رجع إلى بلاده كتب
يقول :

لست أدرى لماذا لا يعمل الناس في أستراليا؟ إنتي تعودت النشاط .
وهذا لا أدرى إن كنت سأرجع بالعودة إلى بلاد الكسالى مرة
أخرى ...؟ ..

وقد رد عليه الكاتب الأسترالي الشهير برودريل ، فكتب يقول
ساحراً من قال إن الأستراليين كسال؟ إنهم يلعبون بمعنى الجد
والحماسة ... ومثلاً يبحث الأوربيون عن الأمان .. يبحث
الأستراليون عن الفراغ ..؟

* * *

إن الأستراليين كما تقول إحصائية المعهد الأسترالي للشؤون
الاجتماعية : ينفقون على القمار خمسة عشر مليوناً من الدولارات
سنويًا .. أي خمسة عشر ألف مليون دولار .. وأهم أنواع القمار

عندهم سباق الخيل .. إن في أستراليا سبعة ناد للسباق يجري فوق ملاعبها عشرون ألف حسان ..
وتنقول الاحصائية :

إن القمار يمثل ١٨٪ / المائة من الدخل العام بينما يمثل الطعام ١٧٪ .
من قيمة هذا الدخل ..

* * *

قلت فيما سبق .. إن أستراليا بدأت تعرف في تاريخنا الحديث منذ عام ١٧٧٠م .. ثم اخليتها بريطانيا مثل للمجرمين والخارجين على القانون في عام ١٧٨٨م . إلا أن الصورة تغيرت بعد ذلك حين أعلنت أستراليا بلدها حراً مفتوحاً في عام ١٨٤٠م .

لقد بدأت أستراليا مرحلة جديدة .. وبدأت المجررة إليها بكثرة وتسابق الناس إلى انصراف إليها طمعاً في الثروة .
ولكن كيف ..؟ لقد وقفت الجبال والقفار حائلأً وسدأً منيعاً أمام التحول .. وبقيت أستراليا لغزاً أو طلباً ...
فن الذي يفسر هذا اللغز ؟ ويكشف أسرار هذا الظل ؟
إنها الجمال .. والرجال الذين يقودون هذه الجمال .. وبخاصة من بلاد « كشمير » و« بشاور » وبلاد « الأفغان » .
وكانت هذه أول خطوة للإسلام فوق أرض الأسترال ..

* * *

كان أول من وصل إلى أستراليا من المسلمين ثلاثة رجال من أهالي كشمير نزلوا في ميناء « ملبورن » ومعهم أربعة وعشرون جملأ . ثم جاء

من بعدهم اثنا عشر مسلماً ومعهم مائة وعشرون جملأاً ... ثم تتابع وصول هؤلاء المسلمين في موجات متتابعة ومعهم الآلاف المئلقة من الحال .. كان هؤلاء المهاجرين الفضل كل الفضل في اكتشاف أعماق هذه القارة . وفي الربط بين أجزائها المختلفة .. وفي مد خطوط التلغراف . ونقل صناديق الطعام والمياه وفي حمل المعدات والآلات وبعبارة موجزة : كان هؤلاء المسلمين شريان الحياة وفرسان الأمل واتجاهه .. وقد حافظ هؤلاء المسلمين على عقيدتهم بحرارة . وراحوا يتبعون المساجد في كل مدينة حتى بلغ عددها ستة وعشرين مسجداً .. وكان متظراً ماؤفاً لدى الأستراليين الذين كانوا يتظلون قوافل هؤلاء الحمالين بفارغ صبر .. أن يروا هؤلاء المسلمين . وقد أذنوا للصلاة ووقفوا في خشوع بين يدي الله ..

لقد حمل هؤلاء الإسلام إلى كل بلد سافروا إليه من ، أذنيد^(١) جنوباً إلى داروين^(٢) شمالاً .. ومن سيلفي^(٣) شرقاً إلى بيرث^(٤) غرباً ومن بيرزبن^(٥) في أعلى القارة إلى مليونر^(٦) في أقصى الجنوب ..

- | | |
|------------|--|
| (١) أذنيد | عاصمة حرب أستراليا . |
| (٢) داروين | عاصمة الحدود الشالية . |
| (٣) سيلفي | عاصمة ولاية نيوساوث ولز وهي أهم مدن أستراليا . |
| (٤) بيرث | عاصمة غرب أستراليا . |
| (٥) بيرزبن | عاصمة ولاية كورنيلاند . |
| (٦) مليونر | عاصمة ولاية فكتوريا . |

لقد قرئ القرآن في صحراء «فيكتوريا» قبل أن تقرأ التراثية المسيحية وارتفع صوت الأذان في «كوبنهاجن» . قبل أن يدق الناقوس فوق الكنائس في «أليس سبرينج» .

* * *

ومن طريف ما يذكر عن تاريخ الجمل في أستراليا أنه كان ثمة عوامل ارتباط بين نسبة الجمال في أستراليا ونسبة الأفغان ومن أشهر الأسماء اللامعة في هذا الصدد تلك الشخصية الأسطورية التي دخلت في الأدب الأسترالي التاريخي المعبّر عن النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي شخصية «عبد الوادي» وغيرها مثل شخصية «علي» الفيلسوف و «غابيد محمد» المفارس وكلها شخصيات كان للجمل والناقة دور هام على مسرح أحداثها.

وما يروى أن هذه الطائفة من الماهدين «لتقالة الجبل» ، «Camel Culture» في أستراليا والتي تجمع بين القومية الأفغانية والدين الإسلامي وتقاليد الأغواط من أصحاب الجبال والنوف . أئمهم احتضروا بأزيائهم القومية الأولى ولم يغروها كما احتفظوا بعاداتهم وتقاليدتهم في الصيافة والكرم .

وعندما قدموا لأول وهلة إلى أستراليا يقودون جماليم كانوا ذكوراً بلا إناث ومن ثم اضطربتهم الظروف للزواج من نساء أستراليات مما أدى إلى سرعة الإندماج والتكميل في مقامهم الجديد . وما أدى أيضاً في المدى الطويل إلى إنتاج سلالة من الأستراليين تجمع بين خير ما في هذا المزيج من صفات جسمية وسمات وملامح ومجايا وخلال^(١)

(١) دكتور محمد العريان . قهـات من القصص . الأسئلة . ص ٧٣

ومن أعلام المسلمين الذين تركوا بصماتهم في التاريخ الأسترالي مسلم أفغاني اسمه شيخ بيجاه درويش . وكان رئيس الجمالين في حملة كالفترت Caffert بقيادة المكتشف ويلز Wells وقد كتب «ويلز» في مذكراته عن هذا الشيخ قصة شديدة تؤكد ما كان لهؤلاء المسلمين من فضل وأي فضل ...

يقول ويلز :

لقد أظهر «شيخ بيجاه» قوة فائقة على الاحتمال وقد أتقنني أنا ومن معى من هلاك محقق .. وأنا أدين له بحياتي ... فقد ضلت القاذفة الطريق .. ومضى على الجمال سبعة وعشرون يوماً لم تذق فيها قطرة ماء ..

وهنا التفت إلى شيخ بيجاه وقلت له :

ها قد نفذ الماء .. وأوشكت الطعام على التقاد ولم يبق إلا أن تعرض على الجمال الصوم عن الطعام كما فرض عليها الصوم من قبل عن الماء ..

وبهدوء وطمأنينة ولا مبالاة قال الشيخ «درويش بيجاه» ..
ـ وأنا سوف أصوم معها ...

يقول ويلز :

كانت مفاجأة لي أن يتسم ذلك الشيخ المسلم ونحن على أبواب كارنة ..

ثم يقول ويلز :

وف غمرة الألم والانفعال والخوف حاول اثنان من المكتشفين السير في

اتجاه معين للبحث عن ماء .. ولكن «شيخ يجاه» .. حذرها من السير في
هذا الاتجاه .. لأنها بحثت الفطريه أدرك فشل هذه المحاولة ثم قال :
لا تفعلوا وإلا فالموت يتغركم هناك ..
فلم يستجب له أحد ... ثم مضي في الطريق الذي حذرهم منه
الشيخ .. وعندما طالت غيبتها خرج الشيخ «يجاه» للبحث عنها
بعد يومين .. ثم رجع .. رجع ومعه ما تبقى من حطامهما التالفة في
غمرة اليأس ..
ويقول ويلز :

بعد هذه الحادثة أشركت معي شيخ يجاه في قيادة الحملة فسار
بنا في درب لم يكن يخطر لنا على بال .. ولم تمض سوى أيام قليلة حتى
لاحت لنا من بعد مدينة أدليد Adelaid
فوقفت ومن معي خائسين أمام الرجل الذي وهبنا الحياة ..

وتابع ويلز حديثه قائلاً : لم تشا أن ندخل مدينة أدليد ونحن في هذه
الحال الرثة والضعف .. لقد آثرت الانتظار ريشا تسترد أفالنا اللاهثة وقوانا
المفقودة .. ثم أرسلت من يغير حاكم المدينة وحضر لنا شيئاً من الطعام ..
ثم بقى طوال الليل أفكر في المصير الذي كان يتضررنا .. وفيمن أخذتنا
أهوا ، الله ، يجاه درويش ، وصلواته المخلصة أم إيمانه الذي انتصر
به على كل مشكلة ، أم هي حاسمه الفطريه المرهقة ؟
لقد رد شيخ يجاه ولم يتركني أسترسل مع كل هذه التساؤلات ..
«إنه ربى الذي أسلمت له وجهي .. ومن يسلم وجهه إلى الله
بأنه لاصق بهديه سواء السبيل ..

وفي الصباح تحركت القافلة إلى ادلير Adelaid . واستقبل الشيخ بيجة درويش كأعظم فاتح . لقد أقيمت له مأدبة ملكية . وأنعم عليه بأرفع وسام وحضر اسمه في تاريخ أستراليا بشرف من نور ..

• • •

ومنذ ذلك التاريخ ... والإسلام ينتشر في أستراليا .. وكان هذا الانتشار مرتبطة بحركة هؤلاء المرشدين والأدلة من مسلمي الأفغان والمهدى ثم جاءت فترة ركود توقفت فيها هذه الحركة ، وانحصر فيها هذا المد . وذلك بعد صدور القانون الذي يحرم على الملونين والآسيويين دخول أستراليا في سنة ١٩٠٢ .

لقد ارتفعت صيحات تطالب باستمرار استرانيا كدوله بيضاء وطفت موجات العنصرية البغيضة لأي Keep Australia White كائن منون .

وكان هذا القانون بمثابة رجاج أحكم بإغلاقه على ٦٠١١ سنة آلف وأحد عشر مسلماً هم جملة من وصل إلى هذه القارة .

وبمرور الزمن .. والبعد عن الوطن .. وفقدان إرثه المسلم . وضياع الحياة المادية وإغراماتها الشربة .. بدأ هذه الآلاف توارى .. وتتكشر ثم تنوب وتأقلم حتى تزوجت المسلم بغير المسلم .. ونشأ جيل مخلط ومهجن .. و شيئاً فشيئاً ... اختفت الشعائر .. وخفت صوت المؤذن من فوق المناشير ... ولم يبق للإسلام في نهاية هذه المرحلة سوى ثلاثة مساجد مبكن يدخلها سوى قلة لا تتجاوز العشرات ^(١) .

(١) دكتور علي الحديبي مجلـة العـربـي

بعد الحرب العالمية الأولى ... وبالضبط في عام ١٩٢٤ م بدأت مرحلة جديدة من الهجرة الإسلامية إلى أستراليا ... فقد سمحت الحكومة لعدد من الأوربيين الذين شردتهم هذه الحرب بالهجرة إليها .. فجاء مع من جاء عدد محدود من المسلمين في شبه جزيرة البليقان «بلغاريا .. الباينا يوغوسلافيا .. تركيا» ولم يكن هؤلاء القادمون أحسن حالاً من المستوطنين الأوائل .. كانواوا أشتاتاً من المشردين الثانيين .. فقد كانت معرفتهم بالدين وتعاليمه محدودة وكان جل همهم موجهاً إلى البحث عن لقمة العيش .

وبالرغم من تمسك البعض أمام مغريات الحياة الجديدة إلا أن البعض الآخر آثر الدعوة . والاندماج في المجتمع الأسترالي بكل مفاهيمه وعقائده . لقد حدث أن مسلماً تركياً من ، استيول «هاجر بأسرته الكبيرة .. لقد طرق الرجل هناك كل الأبواب الموصدة فلم يوفق .. فعرض عليه التنصير هو وأسرته فوافق .. إن عدد أفراد أسرة هذا الرجل يبلغ مائتي رجل وامرأة منها مائة وستون من الكاثوليك وأربعون من البروتستانت ... !

• • •

إن أستراليا دولة علمانية .. والحرية الدينية فيها مكفولة .. ولكن الجماعات التبشيرية تعمل هناك بنشاط ومهة .. إن الكنيسة الكاثوليكية مثلاً .. تملك إذاعة خاصة .. وطا مدارسها وجامعاتها الخاصة .. هناك ... متعدد من يطرق بابك .. ثم يستأذنك في الدخول لحظة .. وهناك تفاجأ بهذا الزائر يعرض عليك إيمانه .. ويعرب لك

باقطاء أثره .. وقبل أن يتصرف يترك لك كتاباً أو صليباً على سيل البركة ..

إن للمكاثوليك نشاطاً واسعاً .. وبخاصة بين المهاجرين المسلمين
لقد حدثني مهندس مصرى مسلم أن أول من استقبله . واستضافة كان
مندوباً عن الكنيسة ..

وشهدت بيته ان هم نشاطاً مكثفاً .. قوم يتميزون بالجاحظ ،
والالحاح والشراسة .. انهم لا يكلون لحظة من النهار أو الليل ،
ويذهبون إلى كل بيت .. وقد حدث قبل أن أغادر أستراليا بأشهر
قليلة أن اغتيل أحدهم بعد أن ارتفعت حرارة الجداول والنقاش بينه وبين
الرجل الذي استضافه في بيته ..

إن بين يدي خريطة وضعتها الكنائس الأسترالية لتنصير المسلمين
في العالم كله ... وقد اختطف هذه المؤسسات أسلوباً جديداً للتنصير
المقنع .. أو النجع بدون إراقة دم ...

• • •

بعد الحرب العالمية الثانية ... توافد المسلمين إلى أستراليا بكثرة^(١) .
لقد شعرت الحكومة الأسترالية أن سياسة العزلة ... سوف تقودها في
النهاية إلى كارثة . فاستراليا قارة كبيرة . وامكانياتها المادية هائلة ..
ثم إنها أني أستراليا لا يمكن أن تستغل ثرواتها إلا بالأيدي العاملة ..
ولتحقيق ذلك لا بد وأن يفتح من جديد باب المиграة ...
لقد أقبل المهاجرون من كل جهة .. لم يكن يسأل المهاجر عن

(١) للصدور السابق ..

دينه أو عقیدته أو ماضيه أو حاضره .. كل ما كان بهم فقط .. هو انتهاء المهاجر السياسي .. فإن كان شبيوعاً منع ... أما ما عدا ذلك فلم يكن سبباً لمنع أي أحد ..

في موجات هذا المد من الهجرة إلى أستراليا جاءها مسلمون من لبنان وقبرص وفلسطين وسوريا وألبانيا ومصر وروسيا ويوغوسلافيا وزركيا . وهؤلاء هم الموجة الثالثة من الهجرة الإسلامية إلى أستراليا والتي ما زالت متواصلة إلى اليوم ، وسلمو المرحلة الثالثة من المهاجرين يمثلون الدم الجديد الذي يتدفق اليوم في شرايين الحياة في الحاليات الإسلامية في أستراليا .

فقد جاءت وفود هذه المرحلة من المهاجرين المسلمين علامهم الحسنة والثقة في دينهم .. وتدفعهم عناصر الاستجابة للتطور الذي طرأ على العقلية المسلمة في فهم الدين فهماً صحيحاً حالياً من الشوائب . والجحود في التقليد الذي لحق بالإسلام في عصور الظلام التكري . وهؤلاء اليوم هم السواد الأعظم الذي يسود الحاليات الإسلامية في الولايات الأسترالية .

وهناك تيار آخر يدخل الإسلام عن طريقه إلى أستراليا على أيدي الطلاب المسلمين القادمين من آسيا طلباً للعلم في معاهد أستراليا وجامعاتها وهم من الهند والباكستان والملابير وإندونيسيا والفلبين وتايلند والمدouل الآسيوية الأخرى ، يأتون على منع دراسية تفلسفها أستراليا أو المنظمات الدولية أو يأتون على نفقةهم الخاصة للتعلم . هؤلاء الطلاب المسلمين يمثلون يكأن مهماً من الحياة الإسلامية في أستراليا . فهم يختلطون بزملائهم الأستراليين في معاهد العلم وبأسر الأسترالية ، ومحظون بالمناسبات الدينية

الإسلامية . ويشركون معهم زملاءهم الأستراليين ومعارفهم من الأسر الأسترالية ، ويقيمون الشعائر الدينية ، ويشركون في النشاط الثقافي والاجتماعي والسياسي مع الحاليات الإسلامية المستوطنة .

وغربي آخر من المسلمين يعيشون في أقصى شمال الفارة قرب «داروين» عاصمة الإقليم الشمالي في أستراليا وفي الجزر المجاورة لها كجزر «كوكو» و«نارو» وأكثراهم من جنس الملايو . ويعملون في صيد اللؤلؤ . وقد جاءوا إلى هذه المنطقة من زمن بعيد . وانقطعت صلتهم بالعالم الإسلامي والثقافة الإسلامية فتحولت الحياة الدينية عند بعض المسلمين من سكان هذه المنطقة المفترقين إلى مزيج من تعاليم الإسلام وبقايا من العادات والتقاليد الدينية لقبائل «الأبوريجينز» سكان أستراليا الأصليين .

ولعل أكثر ما يشد انتباه الباحث في اهجرات الإسلامية إلى أستراليا سكان جزيرة «فيجي» وهي إحدى الجزر القريبة من أستراليا . وكانت إلى عهد قريب تحت الوصاية الأسترالية ثم ثالت استقلالها .

فالحالية المسلمة في هذه الجزيرة أقرب حاليات المنطقة إلى الإسلام الصحيح وأكثرها شبهًا بالعرب بملامح أفرادها وسمتهم العربي الخالص . وقامتهم الفارعة وأسماتهم العربية واعتزازهم بالنفس والكرامة والدين » .

من جزر «فيجي» كما يقول المسلمون في هذه الجزيرة . يظهر أول ضوء للنهار ويسمع أول آذان ... وقد انتشر الإسلام في هذه الجزير على أيدي العمال المسلمين القادمين من باكستان والهند والذين كانوا

يعملون في مزارع المطاط وقصب السكر وحين رأهم الناس يصلون سألوهم عن أصل هذه العبادة التي رأها سكان هذه الجزر لأول مرة . ومن ثم بدأ تعرفهم على الإسلام واعتقاهم لهذا الدين ... كما يوجد في جزيرة «نيوكالدونيا» New Kalidonia التي تقع بين أستراليا وبين جزر فيجي حوالي ٢٥٠،٠٠٠ مائتان وخمسون ألف مسلم يرجع معظمهم إلى أصل صومالي أو جيبوتي ... ويتعرضون لغزو تشارى لا يملكون إزاءه حولاً ولا طولاً .

الجمعيات الإسلامية :

إن في أستراليا حوالي ٥٥ خمس وخمسين جمعية إسلامية موزعة كالتالي :

- خمس عشرة جمعية في ولاية نيوساوث ويلز .
- ثلاث عشرة جمعية في ولاية فكتوريا .
- وخمس جمعيات في ولاية غرب أستراليا .
- أما باقى الجمعيات فتوزعة في الولايات والمقاطعات الأسترالية الأخرى .

كما يوجد عشرة مجالس ولايات بمعدل مجلس واحد لكل ولاية أو مقاطعة بما في ذلك مجالس كل من جزيرة كريسماس Christmas وجزيرة كوكوس Cocos .

إن عدد المسلمين في أستراليا الآن يتراوح بين ١٨٠/٠٠٠ مائة وثمانين ألفاً ومائتي ألف ... وما يذاع من أرقام خلاف هذه الأرقام مشكوك في صحته ، ولا سند له .. وتعتبر الجالية التركية أكبر جالية

إسلامية - خارج الإطار العربي - وهذه الجالية مساجدها الخاصة بها
ومن أعم مساجد هذه الجالية مسجد ردن Redfern الذي
كان كنيسة في الأصل .. ثم مسجد أرسكين فيل Erskine Ville
ثم تأدي الجالية البوغلافية في الترتيب الثاني بعد الجالية التركية
وهذه الجالية مسجد خاص أيضاً بها .

وهناك بضعة ألوان أخرى - من المسلمين القبارصة والألبان وإن
كان عددهم قليلاً .. وأنثرهم ضعيفاً .

أما الجالية اللبنانية فتمثل أكبر مجتمع إسلامي عربي في أستراليا .
وفي ضاحية «لاكمبا» Lakemba شيدت هذه الجالية مسجداً
كبيراً هو مسجد الإمام علي الذي يعتبر أكبر مسجد في أستراليا ..
وفي هذه الضاحية ... ضاحية «لاكمبا» يقيم أكثر المسلمين من لبنان
وستفاجأ حين تسير في شوارع هذه الضاحية باللغة العربية مكتوبة
على واجهة المحلات والمطاعم .. وستجد الخبز اللبناني والحلوي اللبناني
معبأة في أكياس من النايلون

وكما هو شأن اللبنانيين في أي مكان . فقد استطاعت هذه الجالية
اللبنانية (مسلمون ومسيحيون) أن تترك بصماتها في أي مكان تذهب
إليه .. بل ستفاجأ بصحف عربية تحمل أسماء - صوت المقرب -
وصدى لبنان - والنهار والتلغراف .

وفي الأوتوبيس ... والقطار - تقابلا بالسيدات اللاتي يتجاذبن
أطراف الحديث عن أقاربهن للموجودين في بيروت أو طرابلس ...
ولن تعلم في وسط الرحام رجالاً يمشي متخفراً في شارع جورج
ستريت George St وقد وضع على رأسه الطربوش

يُبَشِّرُ بها تدلّت عند وسْطه سلسلة ذهبية تشير إلى أصله العريق في « بعلبك ،
أو صيدا وصور ... »

ونعرض فيما يلي نبذة عن بعض هذه الجماعات وجنبية كل منها :

الجماعة المصرية :

يوجد في سلف مجموعة من المصريين بعضهم من المثقفين وبعضهم من العمال أو ذوى الحرف . ويُنظم المصريون في جمعيات إسلامية بمدينة سيدني وأكثُرُهم يُؤدون صلاتهم في المركز الإسلامي الذي يقوم عليه اللبنانيون أو في مسجد الملك فیصل بمنطقة سري هيلز – وليس من الحُتم أن يكون لهم مسجد خاص ، ولكنهم إزاهم اختلاف الأئمة وضياع اللغة العربية من أبنائهم – يُؤدون قلقلاً باللغة ، ويتعلّمون أيضاً إلى وفود إمام أزهري في مسجد الإمام علي أو في أي مكان ، والظاهره البدية فيهم هي حسن انتقاداتهم وطاعتهم للإرشاد الديني ، ثم هم قلقلون جداً على أبنائهم إذ هم في مدارسهم الأسترالية لا يتعلّمون العربية ولا الإسلام . ولكن يتعلّمون الإنجليزية والديانة المسيحية .

الجماعة الإسلامية التركية :

هذه الجماعة أكثر الجماعات الإسلامية تنظيماً ونشاطاً . [إذ يوجد في حى من أحياه سلف نحو^(١) ٧٠٠٠ سبعه آلف أسرة تركية ، يقيم أبناؤها جميعاً

(١) رد فرن

ل مساكن متقاربة أو متلاصقة ، وفي وسطها مسجد هم . ويبيغ أعضاء الجمعية التي تشرف على المسجد والنشاط الثقافي حوالي ألف عضو . ويؤدون اشتراكات تختلف بين شخص وأخر حسب قدرته المالية كما يجتمعون زكاة أموالهم ويخصصونها لهذه الجماعة . وإمام الجماعة تركي يتكلّم العربية والإنجليزية بجانب التركية ، ومحظوظ قدراً كبيراً من القرآن . وفي مسابقة قرآنية في دفعي - بالهند - كان ترتيبه الثاني ونال جائزة .
وينظم الإمام دروساً بالمسجد ويجعل منها دروساً خاصة بالسيدات . ولتكن يستعمل اللغة التركية في تدريسه . والآيات القرآنية التي يعرضها ينطقها بعربيّة سليمة . وهو يدرس الفقه الشافعي ولديه مجموعة من كتبه .

وبالمسجد مكتبة لا يأس بها - وبها كتب .. في ظلال القرآن ، مترجمًا إلى اللغة التركية وفقه السنة وفقه الزكاة وكتب أخرى لتعلم اللغة العربية والنحو العربي ولكن الذين كانوا بالمسجد استعملوا اللغة الإنجليزية ، ولست أدرى مدى معرفة تلاميذهم باللغة العربية . ولكن هم مدرسة يتعلّم فيها أبناؤهم آخر الأسبوع مبادئ الإسلام واللغة العربية بينما يوجد بعض الكبار الذين يعنون بهذه الدراسة ويتداوّلونها طوال الأسبوع .

جمعية المرأة المسلمة :

هذه جمعية تستحق أن تذكر . وليت جمعية بالمعنى الحقيقي . ولكن أحبّتها ترجع إلى عملها وعمل مؤسسيها - فالثانستان عليها هنا صديق البقل وزوجه سلمى البقل . وما إنجليزيان أصلًا . اعتقاد

الإسلام ، وافتتحا مدرسة صغيرة لتعلم الأطفال اللغة العربية وأيات من الذكر الحكيم ، ونطقت بعض السيدات بالتعليم فيها ولا يزيد عدد تلاميذها من الأطفال عن خمسين تلميذاً وتلميذة . وهي آتتة في النمو .

كما تقوم السيدة بقلي بتوفير ثلابس إسلامية للمهتميات من بنات أستراليا اللائي يدخلن في الإسلام ..

جامعة ولنجتون :

سميت هذه الجماعة باسم الحي الذي هي به - وفما مسجد يسمى باسم « مسجد بلال » وأعضاء الجامعة أخلاقاً من - تركياً ولبنان وسوريا وال مجر وغيرها ، ويبلغ عدد المسلمين في المنطقة كلها ٥٠٠٠ خمسة آلاف . ومسجدهم صغير ولكنه نظيف أنيق تلحق به مكتبة بها بعض كتب الفقه وكتب التفاسير والحديث وعدد من المصاحف . وهم في غاية التعطش والشوق إلى إمام أو مدرس للإسلام والعربية .

كما توجد جمعية نيوسوث ويلز Islamic Society of N.S.W. وهي من أهم الجمعيات في مدينة سيدني وترتفع على لزركار الإسلامي الملحق بمسجد الملك فيصل .. وقد تم في السنوات الأخيرة إنشاء اتحاد عام للجمعيات الإسلامية في أستراليا The Australian Federation of Islamic Councils- A.F.I.C. وبشرف على هذا الاتحاد - بحكم قانون تكوينه - جميع الأنشطة الإسلامية في هذه القارة ، ويتم انتخاب رئيسه عن طريق رؤساء مجالس الجمعيات الإسلامية في مختلف الولايات

الأسترالية وي منتخب الرئيس لمدة سنتين . ويجوز إعادة انتخابه لمدة ثانية على الأكثر .

في ملبورن :

ملبورن إحدى المدن الكبيرة في جنوب أستراليا ، وبها حالياً إسلامية كبيرة تلي الحالية التي في سدني ، ويوجد في ملبورن مسجد كبير منظم تلحق به مكتبة كبيرة ، وبعض المكاتب ، واستعداده جيد ومساحته كبيرة .

وخطا المسلمين في ملبورن خطوة أنسح في تعليم اللغة العربية والإسلام فاشتروا كنيسة قديمة وهياوها لتكون مدرسة إسلامية تدرس إلى جانب المنهج الأسترالي المدني - تعليم الإسلام واللغة العربية لتكون هي اللغة الثانية بعد الإنجليزية وهي أبناءها عند نهاية القسم الثانوي إلى دخول امتحان الشهادات الثانوية الأسترالية ولكن المدرسة في بدايتها ، وقد أبدى ناظرها رغبة ورجاء في إمداد المدرسة بمدرسين عرب يدرسون الإسلام واللغة العربية .

التيارات المعارضة :

توجد في أستراليا تيارات معارضة تعمق الفكرة الإسلامية وتسب لها كثيراً من الإيذاء وكثيراً من المشاكل .

فهناك أولاً : الجماعات القاديانية . وهي تزكي مبادئها المعروفة من أن محمداً ليس آخر الأنبياء ، وأن ميرزا غلام أحمد حبيده ومن ذريتهما أنبياء ، ويتوولون الآية .. ولكن رسول الله وخاتم النبيين ،

«بأن» محمداً حصل الله عليه وسلم ، زينة الأنبياء وجاهم وآن الأنبياء من بعده كأنبياء بني إسرائيل يشرون بالقرآن كما بشر أنبياء بني إسرائيل بالتوراة ، وأن الآية «ومبشرأ برسول يأتي من بعدي اسمه محمد» تعني أحمد غلام زعم الجماعة الأحمدية القاديانية ... الخ، أفكارهم المعروفة وكانوا يستعدون لاستقبال زعيهم في آخر شهر سبتمبر ١٩٨٣ .

وهناك طائفة من الأطباط المهاجرين ، وهم يخرجون نشرات مبتالية تطعن في الإسلام وبنج الإسلام وتندد القرآن وتتهجّه بالتحريف وضياع أجزاء منه وبالتالي الخطأ النحوي .. وهكذا .
وهناك أيضاً جماعة المبشرين المسيحيين يرددون هذه التغمات نفسها . ولم يكتفوا بخطب ونشرات تبغض الإسلام لدى الناس وظهوره خرافة لا معنى لها وتكرر بإلحاح إنه ليس ديناً ، ونفهم محمداً بمعنى ما يتهجّه به هؤلاء السابقون .

موقف الحكومة :

الحكومة الأسترالية ديمقراطية تمنح رعاياها حرية واسعة ، بل وبما كانت التوسيع في هذه الحرية من غيرها لأنها لم تمنعهم من مزاولة الرذائل الأخلاقية ، والذي يعنيها موقفها من الإسلام . وتصير فتاوى إزاء المسلمين بقطع النظر عن أفكارها عن الإسلام ونظرتها العامة إلى المسلمين . وهي نظرة تشيع بين العالم الأوروبي كله - فهي كحكومة لا تحارب الإسلام ولا تحارب العربية ، وهي ترحب بإقامة المدارس الإسلامية الخاصة التي تجمع بين التمجّج الأسترالي والمنهج الإسلامي .

وتحنح الجمعيات الإسلامية معونات محدودة ، وأيضاً ليقيموا عليها مساجد أو مدارس لهم ، وفي مناهج المدارس الأسترالية الحكومية الآن ساعتان في كل أسبوع لدرس الدين أي دين غير الدين المسيحي - ويجد غير المسلمين من الهندوك والسيك والبوذين ... معلمين يعلمون أبنائهم دياناتهم في المدارس الحكومية ولكن المسلمين يعانون من هذه المشكلة التي تستوجب حلّاً عاجلاً من الدول الإسلامية .

الخطر الماحق :

إن مجرات المسلمين إلى أستراليا مستمرة . وأن قلة سكانها وسعة أراضيها التي لم تستعمر بعد مما يجذب إليها للمهاجرين ، والسلمون مع طول الزمن أو بدونه طوله يذوبون في الوسط الغربي بهم . ويندوب منهم الإسلام واللغة العربية ، وتنشأ أجيالهم الجديدة لا تعرف ما هو الإسلام ولا ما هي اللغة العربية . ومعنى هذا أن الإسلام يخسر كل يوم بعضاً من أبنائه ومن تعاليمه ومن لغته . فإذا أضفنا إلى هذا عوامل المدم السافرة من المبشرين وأصحاب المذاهب المنحرفة وجدنا أن الإسلام أمام خطر ماحق حقاً .

ولدى المسلمين الآن في جوانب سدي أرض خالية معدة للبناء . وبعضاً أعد لها بالفعل رسوماً معمارية ، ولكن تتقصهم المادة . ويتقصهم المعلمون .

موقف الأزهر :

لأنني على الأزهر فأطلب منه ما ليس في طرقه . ولكن حيث أبدى القوم استعدادهم لإعداد السكك للمدرسين أو الأئمة الذين يبعث بهم

الأزهر ، فإن الواجب المبدئي أن يسرع الأزهر باختيار بعض الأساقفة من جملة الأزهر لإمداد هؤلاء القوم بهم بسرعة كخطوة أولى يتدارك بها الموقف مؤقتاً .

ويستطيع الأزهر بعد هذا أن يجري اتصالات مع الجهات الدينية في الدول التي تملك مادة لا تملكها مصر ، كدول الخليج كلها - لتكوين هيئة خاصة ، تتول نسخة الدعاة الإسلاميين - أئمة في المساجد ومعلمين في المدارس - وتعد لهم ميزانية خاصة تكفي رواتبهم ونفقات دعوتهم من الكتب والأجهزة الأخرى حتى يمكن إنقاذ الموقف أولاً . ثم التبشير بالإسلام ثانياً . وبعد هذا الإعداد يمكن إرسال عدد أكبر من المدرسين والأئمة فإنه من الإثم حقاً أن تترك هذه القارة نسخاً للدعاة المضللين ولا يرتفع فيها صوت الحق الذي لاحق غيره ، والمدين الذي رضيه الله لعباده .

والأزهر - بوصفه أكبر وأشهر هيئة تقوم بتعليم الإسلام ونشره - عليه أن يبدأ بهذه المهمة وأن يقوم بالاتصال بهذه الجهات كلها لإنشاء هذه الهيئة ، فالأزهر لديه الدعاة وهم لديهم الأموال ، ولا بد من التعاون أو التحالف من الجانبين إبراء إلى الله تعالى .

إن عدد المسلمين في أستراليا يتراوح بين ١٨٠ ٠٠٠ وبين مائتي ألف كما قلت أني إن الإسلام هو الدين الثاني في أستراليا بعد المسيحيّة لأن عدد اليهود لا يزيد عن سبعين ألفاً .

سبعون ألفاً في العدد وإن كان أثراً لهم أكثر من سبعين مليوناً في الواقع ... ولأنه بذلك متلاً :

هل سمعت بقصة « التايمز » اللندنية

لقد اشتراها اليهودي الأسترالي مردوخ ... فلن يكون هذا الرجل
مردوخ؟ إنه يملك في أستراليا شركة طيران .. ANSET ومحطة
تلفزيون .. ويصدر عدداً من الصحف .. في أستراليا .. وبريطانيا والولايات
المتحدة .. كما يملك مصانع ضخمة .. وبشكل الرأي العام في أستراليا
على مزاجه ...

إنه عمودٌ فقطٌ هؤلاء السبعين ألفاً ..
هل تريدون مثلاً آخر ...

إنَّ الحاكم العام لأستراليا .. وممثل الملكة فيها ... يهودي أيضاً ...

• • •

أما المسلمين المائة والتلaron ألفاً ... أو المائتا ألف ... فحالهم حال
بقية المسلمين في أنحاء الدنيا ...
ولتقرير الواقع الإسلامي في أستراليا .. ولتعرف حال هذه الجالية
وما هي فيه بالضبط .. أنظروا إلى لبنان حالياً . نفس الصورة ..
والخلافات ... والطائفية .. والتناقض .

هل نصدقون .. إنَّ الأحزاب السياسية العربية توجد هناك فوق هذه
الأرض .. البعث بمعنايه العراقي والسوسي .. وجية أنصار الخميني
والحزب الشيوعي العربي ... والحزب الاجتماعي السوري القومي
والكتابيون وحراس الأرض .. ومؤمن الشعب الأساسي الليبي ..
بالإضافة .. إلى الطوائف الدينية .. بكل مواريبها .. وتقاليدها
وصراعاتها .

كنت أظن أن هذه الصراعات وهذه الخلافات .. قد تلاشت أو
على الأقل قد ضعفت .. أو أن المهاجرين العرب قد ألقوا بها في

أعماق الباسيفيك ... إن لم يكونوا فعلوا ذلك في المحيط الهندي .. أو بحر العرب .

بالإضافة إلى ..

فقدان القيادة الإسلامية الواقعية ، وانصراف المتقدرين هذا الأمر إلى التفاهات - والزعامات .. وانحصر معظم نشاطهم في إقامة المأذيب والحفلات .

كانت تجربة أليمة بالنسبة لي ... لقد وصلت إلى أستراليا والحملة الفاربة ضد الإسلام في قمتها ... في الصحف ... والإذاعة ..
والطيفيون ..

لقد اتخد الاعلام الصليبي اليهودي من قصبة «الرهان» ، مادة لتشويه الاسلام .. وتصوير المسلمين وحوشاً مفترسة . وفـي الطافـة من سـيدني الى كـوالـاـلـيوـر .. قـضـيـتـ اـكـثـرـ مـنـ ثـمـانـيـ ساعـاتـ فـيـ نقـاشـ حـادـ مـعـ رـجـلـ اـعـمالـ اـسـترـالـيـ اـسـمـهـ مـسـتـرـ «ـوـالـيـ» Wellyـ فـيـ مـحاـوـلـةـ لـاقـاعـهـ .. وـلـكـنـ الرـجـلـ لمـ يـدـعـ ليـ فـرـصـةـ للـتـكـلـمـ .. ثـمـ قـامـ بـعـصـيةـ وـفـتـحـ حـقـيـقـيـتـهـ «ـالـسـمـونـاـبـتـ» .. وـقـدـ إـلـىـ كـتاـبـاـ يـتـهمـ فـيـ الـمـسـلـمـينـ بـالـتعـصـبـ .. وـقـدـ اـنـتـاجـ مـاـ يـكـفـيـ لـلـفـتـنـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ المـنـدـ.

تصوروا .. الملهمون الفحايا .. والقتل .. تحولوا في كتاب طبع
في لندن .. إلى لصوص .. وقطاع طرق ..

• • •

لقد أعلنت في أول لقاء مع الجالية اللبنانية ان القضية الأولى والأخيرة هنا .. هي العقيلة .. تكون أو لا تكون كما يقول شكري في مسرحية البائس هلت ...

ليس كل من أنه مصري .. أو لبناني أو باكستاني .. أو هندي ..
يجب أن تكون مسلماً فقط ... وفي إطار هذا الإسلام نعمل
ونتحرك .

• لقد دعوت إلى تشكيل «مجلس الأئمة» ... مجلس يضم كل
الداعية من الشيعة والسنّة . والترتّبنا في هذا المجلس بخطبة إسلامية جنة
وافتقدنا على تنفيذ هذه الخطبة على مستوى القارة الأسترالية .. وفي
مدينة سيدني «عاصمة ولاية نيوساوث ويلز خاصة .

• إن أيام العمل في أستراليا . كما هي في أيّة دولة أوروبية تبدأ
صباح الاثنين وتنتهي مساء الجمعة . ومن ثم لا بد من مضايقة الجهد
في أيام السبت والأحد ومساء الجمعة وقد نظمت لذلك حلقات العلم .
ودروس تعلم اللغة العربية .

• أما بالنسبة لي شخصياً فقد كانت الصحف تعلن مشكورة عن
تواجدي في المسجد من الساعة الحادية عشرة صباح كل يوم إلى
الساعة الخامسة ..

ولقد كانت هذه الفترة .. فترة عمل مستمرة .. إما في تلبية الدعوة
إلى كنيسة أو إجراء حوار في جامعة .. أو مناقشة الأستراليين الذين
كانوا يحضرون إلى المسجد من الكليات والمدارس الجامعية المختلفة .

* * *

• لقد تبين لي .. منذ الشهرين الأولين بعد وصولي إلى أستراليا .
أن قوة الإسلام وبقاءه رهيبان بخطي دفاع أساسين لا بد من
إقامةهما بسرعة .

أما خط الدفاع الأول فيتمثل في دعم الروابط الأسرية والعائلية

أبناء الجالية الإسلامية .. ولتوسيع هذه النقطة ، ولأهمية هذه الفكرة .
فقد تبين لي .. أن كثيراً من الفتيات المسلمات يترrogen من غير
مسلمين . وهو شيءٌ منطقي في مجتمع صناعي مادي .. وهي ، طبيعياً
أيضاً .. حين تسرق أواصر الإخاء والتعارف بين أبناء العقيدة الواحدة
في بلد علماني .

ويعنى هذا .. أن الجيل الثالث من المسلمين على الأكثري سبباً
جاملاً كل شيء عن دينه وعن أصله . وبالتالي .. سيعود الإسلام
غريباً كما بدأ غريباً في هذه القارة .

أنك ستفاجأ أيضاً عقب وصولك إلى أستراليا .. أن كثيراً من
المسلمين يتخلون لهم أسماء أسترالية مسيحية بدل أسمائهم العربية
السلمة .

إن « محمود » يسمى نفسه « مالكوم » .. و« أحمد » اختار لنفسه
اسم « آلن » و« مصطفى » قد يسمى بـ « مايكل » ...
أما « خديجة » فقد اختارت اسم « جولياء » .. وفاطمة أصبحت
« فاي » أما « عائشة » فقد فضلت اسم « ريتا » ..

• • •

أما خط الدفاع الثاني بالنسبة لبقاء الإسلام واستمراره في أستراليا
 فهو التعليم ... التعليم الديني وتعلم اللغة العربية ...
 إن أكثر أبناء وبنات المسلمين لا يكادون يعرفون عن دينهم أو
لغتهم شيئاً لقد سمعت من كثير من الآباء والأمهات أن أولادهم قبل
أن يذهبوا إلى الفرائش يُؤدون صلاة معينة بعد أن يلوحوا في الماء

بحركات نرسم صورة الصليب على صدورهم .. لقد سمع الأطفال
هذا ورأوه صباحاً في المدرسة ...
أضف إلى ذلك ...

أن الوالد يخرج مبكراً إلى العمل .. فإذا عاد .. خرجت زوجته هي
الأخرى إلى المصنع ..

ثم أن الوالد والوالدة أصلاً .. لا يصليان .. أو يؤذيان شعائر الدين
لقد أصبح الدولار إلهاً .. وهم المهاجر من هؤلاء أن يشتري بيته ...
ويملك سيارة ..

فإذا علمت بعد ذلك .. أن أكثر المهاجرين إلى أستراليا هم من
الطبقات الدنيا .. ومن العمال والحرفيين الذين وجدوا في أستراليا ما لم
يجدواه قبل ذلك أصلاً .. يمكن أن تتصور مدى الاهتمام النفسي في
أعماق هؤلاء الذين فوجئوا .. بأسلوب الحياة المتتطور .. ومناخ الحرية
المتقدم ..

إن هذه القضية .. قضية التعليم الإسلامي هي أحضر هذه القضايا
جميعاً .. صحيح أن هناك دروساً تلقى في بعض الأماكن لتدريس
مبادئ الدين واللغة .. ولكن التلميذ المسلم يتلقى هذه الدراسات من
غير أكفاء .. وفي وقت يشعر فيه بالصيق من كثرة الأعباء ..

وقد حدث أثناء مشاركتي في مؤتمر الدعوة الإسلامية لمنطقة جنوب
شرق آسيا والباسيفيك الذي انعقد في كوالالمبور في مارس ١٩٨٠ ..
أن التقيت بالشيخ الصالح الورع المرحوم عبد الله التورى من كبار علماء
الكويت .. فعرضت عليه هذه المشكلة ... فأبدى استعداده لشراء
بيت يستعمل كمدرسة في البداية .. فوافق الرجل على هذه الفكرة ..

تم حضور في شهر سبتمبر ١٩٨٠ ومعه مائة ألف دولار لهذه المهمة .
وي وعد بمائة ألف أخرى إذا كان في العمر بقية ..

لقد تم شراء بيت كبير في منطقة اسمها هيرفيلد
وسجلت المشروع كوقف .. واختبرنا له مجلس أمناء
من مختلف الجنسيات .. ونص في العقد .. انه في حالة عدم إتمام
هذا المشروع تعود الأموال إلى أصحابها من غير نقص ..

إن العمل الإسلامي في أستراليا . بل وفي أوروبا يتسم بالأنانية والضحالة .. إن فرسان هذه الحلة صدفة حالية من التوزع .. ولذلك أن تتصور ماذا يفعل محام جاهمل يتزلف عن قضية بري، اتهم بالقتل .. إن المتهم البري، يساق إلى ساحة الإعدام ب الدفاع هذا المحامي الذي لا يجد حتى مجرد القراءة والتقليل .. !

هل سمعت بقصة المشعوذ .. الذي احترف الطب ..
لقد قرأ المسكين ان العجـة السوداء دواء من كل داء .. فاصطـطـاد
صاحبـنا حـيـةـ منـ هـذـاـ النـوعـ الأـسـودـ وـعـالـجـ بـهـ الـمـرـضـيـ منـ طـالـبـيـ الشـفـاءـ
فـأـوـدـىـ بـحـيـةـ كـلـ مـنـ مـدـ إـلـيـهـ يـدـهـ مـنـ هـوـلـاهـ التـعـاءـ ..!
إـنـ الـأـصـلـ فـيـ هـذـهـ لـلـأـسـاءـ .. هيـ «ـالـعـجـةـ»ـ لاـ «ـالـحـيـةـ»ـ، إـنـ نـقـطـةـ
وـاحـدـةـ تـحـتـ الـبـاءـ قـتـلـتـ مـنـ النـاسـ مـاـ لـمـ قـتـلـهـ الـحـرـبـ فـيـ الـمـرـكـةـ ..!
وـلـأـخـرـبـ لـكـمـ مـثـلـاـ مـنـ أـسـترـالـياـ ..
لـقـدـ ذـهـبـتـ فـتـاةـ خـرـيجـةـ جـامـعـةـ أـسـترـالـياـ .. تـشـغـلـ مـنـصـبـاـ حـاسـماـ
فـيـ مـؤـسـسـاتـ الـدـوـلـةـ ..

ذهبت إلى متزعم مسلم :
 واليكم نص الحوار ...
 - اسمي هيلين .. وأعمل وأريد أن أعتنق الإسلام ..
 فقال لها مرحباً ..
 مرحباً .. مرحباً ..
 هل توافقين على قطع يدك إذا سرقت ؟
 قالت : لا .. لا أتفق ..
 فقال لها : هل توافقين على أن تقتل بالحجارة إذا زنيت ... ؟
 قالت بالطبع لا ... وألف لا ...
 وهنا سكت صاحبنا ..
 فقالت له الفتاة ..
 هل هذا هو الإسلام .. ثم قامت فزعة .. ولا يعرف لحد إلى أين
 ذهبت .

* * *

إن أوروبا .. ثهار .. ثهار روحياً .. وأخلاقياً .. وإنسانياً وليس
 إلا الإسلام حلاً لكل مشكلاتها وأمراضها وعللها ..
 ولكن كيف ؟
 إن التناقض الذي يعيش فيه المسلمون يقف حائلاً .. وسدأً منيعاً
 أمام هذه الظاهرة .
 لقد تعرف شاب من أصل هندي بفتاة أسترالية . أحياها ثم اتفق
 معها على الزواج ..

ولكن لا بد أن تسلم أولاً شيء جميل .. فكيف عرض علينا
الإسلام ..

لقد قال لها في نوبة حماسة وغيره ..

- الإسلام يحرم الخمر .. والخنزير ، والقمار ..

و.. وافقت الفتاة على الدخول في الإسلام دون تردد ..

وبعد الزواج ... بعد شهر فقط .. دخل عليها صاحبنا وفي بده

لغاية .. لقد كانت زجاجة ويiskey ... !

وفي أسبوع لاحق .. شاهدته يلعب القمار في أحد التوادي

وعلى الفور أمسكت به وطلبت منه الطلاق ..

لقد أعلنت الفتاة في ملاً ... وأمام شهود من الأصدقاء قالت :

إما أن يكون هذا الشاب كاذباً .. وإما أن يكون دينك هو

الكاذب ...

• • •

وهذه هي مأساة الإسلام في أستراليا .. وفي غير أستراليا وفي
كل أنحاء الدنيا ...

الحلقة الأولى من الحوار

- عندما يتكلم القرآن ...
- من هو خليفة الله في الأرض ؟
- البشر كلهم إخوة ...
- علوم النّظرة القرآنية وشمومها ..
- الإسلام .. رسالة كل الأنساب .. دين .. كل الصور ...
- نعم .. ولكن .. حول التوراة والإنجيل ..
- ماذا تقول دائرة المعارف البريطانية ؟
- كيف ولع التحرير .. ؟
- الفتاواه وتلخيصات ..
- اعتراف علماء الالاهوت ..
- التحرير الأخير في أميركا ...
- وهكذا نحدث القرآن ...

– كانت الحلقة الأولى من هذا الحوار في ميق الكتبة المتحدة بـ
ه استرالبيلد .. لقد كان من عادى أن أذهب إلى المسجد قبيل الظهر ...
وما أكاد أدخل إلى داخله حتى أسمع صفيرًا تعودت سماعه كل يوم .. إنه
سامي البريد المتر جورج .. ذلك الرجل العجوز الذي أوشك أن
يتقادع ... لم يكن يضع رسائل في صندوق المسجد كما تعود .. بل كان يصر
على تسلم رسائل الخاصة يدأ .. يد .. لم أكن أترى أنه يذهب .. أحياناً كانت
أدعوه لتناول قدرح من الشاي .. أو أنتزع طوابع البريد لأخاهذه الصغار ..
وأحياناً أخرى كان يستريح في ساحة المسجد ريثما يتوقف هرم الرعد والمطر
النهر في كل مكان ...

وذات يوم أذن لصلاة الظهر .. وبعم السكون فلا تكاد تسمع أي
صوت .. وهنا حضر المستر جورج .. ودخل للمسجد ليرأني
واقفاً أمام حشد من المصليين الملتمين بالصلوة .. وفي أدب جم ...
استدار إلى الخلف ثم ترك رسالة فوق منضدة صغيرة كانت وراء
الصف ..

كانت هذه الرسالة من الأب جونز، راعي الكنيسة المتحدة باستراتفيلد ... Stratfield وفي هذه الرسالة يقول الأب جونز :

... لقد أصبح اسم «الإسلام» يتردد كثيراً هذه الأيام ...
... إن البعض يكتب عنه كـ «عدو» والبعض يحاول تصويره في صورة «مارس» إله الحرب .. وهناك أفلام قليلة كتب أصحابها بنزاهة وصدق ... وقد رأت لجنة الكنيسة المتحدة أن تدعوكم إلى حوار، في محاولة للكشف عن الحقيقة ... وتوضيح موقف الإسلام من هذه القضايا التي تعطى باهتمام زائد من الخاصة والعامة

وكان الرد سريعاً .. لم أنظر لحظة واحدة ... وحددت مع الأب جونز موعداً لإجراء هذا الحوار بعد يوم واحد من هذه المحادثة .. لم يكن حواراً .. بل كان «نزلاً»، استخدمت فيه كل أنواع الأسلحة ...

وانتهى الحوار - أو النزال - بفوز الإسلام في هذه المعركة .. وطار الخبر بسرعة البرق . فأقبل الناس على المسجد من كل ناحية وفوج أساندته وطلاب . باحثون وعلماء . رجال ونساء ... وصحفيون يمثلون كل الاتجاهات .

لقد تحول المسجد إلى خلية بحث . وتنوعت اللقاءات فيه فلم يخل من حوار أو نقاش في أي وقت ...

كان اللقاء الأول في الكنيسة المتحدة بـ «استرافيلد» .. كما قلت فتيان وفتيات في مقابل العمر .. ورجال ونساء من تقدمت بين السن وبعد أن قدمني الأب جونز ..

أخذت مكانه أمام «الميكروفون» ثم قلت :
في هذا العالم المتغير .. السريع الإيقاع والخطوات . لا يكاد يمر
يوم أو أسبوع حتى نسمع بمؤتمر يعقد هنا أو هناك^(١) ..
مؤتمرات تتعدد وتنتوء باختلاف المدى من هذا المؤتمر أو ذاك .
ثم يتبعها الأمر إلى قرارات ووصيات تضاف إلى غيرها من
ألف القرارات والتوصيات . وأقصى ما تقول به من عتابة أن تعطى
طباعة أنيقة ثم تحفظ بعد ذلك في كتاب .

ما قيمة البيانات الشاهقة المزودة بأحدث وسائل الترفيه والسلية
إذا كانت تسكنها قلوب محطمة . ؟

وما قيمة العلوم والمعرفة إذا كانت وسيلة للدمار وال الحرب والتعاسة .
وما قيمة نزول إنسان على سطح القمر إذا كان يجهل حقيقة أخيه
الإنسان فوق هذه الأرض ؟

ومن هنا تأتي أهمية هذا الحوار . وأهمية المناقشات في هذا الحوار ..
إن البشر كما يقرر القرآن إنحصار وأبناء لأب واحد .. وأم واحدة ..
«يا أيها الناس : انفوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق
منها زوجها . وبث منها رجالاً كثيراً ونساء ... (الناء - ١)

(١) لقد أحييت كتابة هذا الحوار بعد أن توفرت المراجع التي لم تكن ميسرة في هذا الوقت
فقد كان اعتمادي على الذاكرة في أول الأمر .. أما حينطبع ذلك في كتاب فلا بد
من مراعاة الدقة في الكتابة والبحث .

إِنَّا أَيْهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكْرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُورًا
وَقَبَائِلَ لِتَعْارِفُوا - (الحجـرات - ١٣) .

والإنسان في كتابنا السماوي المقدس هو أكرم مخلوقات الله ..
فآدم أبو البشر - في تراثنا الديني - خلق في صورته - أي في صورة
الله - وتفتح فيه من روحه - أي من روح الله - واحتبر - دون الملائكة -
ليكون خليفة عنه . أي خليفة عن الله ...

«إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . قَالُوا
أَنْجِعُهُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيُسْفِلُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ . قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (آلـقـرـاء - ٣٠)

ولأنه : أي الإنسان خليفة عن الله في الأرض ، وكان أكرم مخلوقاته
بين الخلق . فما نراه حولنا في هذا الكون من عوالم . عالم النجوم
والكواكب . وعالم الحيوان والنبات . وعالم الطير والجhad ... وكل ما عرف
فوق سطح هذه الأرض من جبال وبخار وما يتحقق في أعماقها من معادن
وثروات ، كل هذه العوالم خلقت من أجل هذا الإنسان وسخرت ببارادة الله
لتكون في خدمة هذا الإنسان .

«وَسَخَّرْنَا لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنَّجْوَمَ مَسْخَرَاتٍ
بِأَمْرِهِ ... إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ» .

«وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَوْلَاهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ
يَذَكِّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَرَزَانَ لِتَأْكِلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْخَرُوا

منه حلية تلبسوها ونرى الفلك موافقاً فيه ولتبغوا من فضله . ولعلكم
تشكرون .

وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم
تهتدون »^(١) .

• • •

ولأن البشر كلهم إخوة ، وكرامتهم عند الله واحدة . فقد معا
الإسلام بكلمة واحدة كل أسباب التفرقة ، وأسقط كل المزاعم
التي تميز إنساناً على إنسان بالجنس أو اللون أو الطبقه ...
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجـرات - ١٣)

• • •

والقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يعترف بما سبّه من
الكتب السماوية ويفرض على المسلم الإيمان بها إيمانه بالقرآن نفسه .

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربِّه والمؤمنون . كلَّ آمن بالله
وملائكته وكُلُّهُ ورَسُولُه لا تُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رَسُولِه » (البقرة - ٢٨٥) .

فمن آمن بالقرآن ولم يؤمن بالإنجيل والتوراة - كما أنزلها من عند
الله - فهو ليس مسلماً .

والقرآن يؤمن جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى المسيح ومحمد
عليهما السلام .

(١) سورة النحل . ١٤ - ١٥ .

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا . وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والآباء . وما أتى موسى وعيسى . وما أتى النبيون من ربهم
لا نفرق بين أحد منهم ولهم له مسلمون » (البقرة - ١٣٦) .

فنـ آمن بـ محمد وـ لم يـؤمن بـأـبي نـبـي آخر ذـكرـه الفـرـآن فـهـو لـيـس
مـسـلـماً .

• • •

وـ من حـفـاظـ القرآنـ الـيـ تـنـدـ عـلـىـ شـمـولـ عـقـائـدـهـ ،ـ أـنـهـ يـعـتـبرـ رسـالـةـ
الـأـنـيـاءـ جـبـعاـ وـاحـدـةـ وـهـيـ «ـالـإـسـلـامـ»ـ .ـ وـالـاخـلـافـ بـيـنـ رسـالـةـ وـرسـالـةـ
إـنـماـ هوـ اـخـلـافـ اـقـتضـهـ الطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ طـبـقـاـ لـبـطـورـ الـإـنـسـانـ مـنـ
مـرـحـلـةـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ .ـ فـلـذـاـ كـانـ الـإـنـسـانـ يـوـلدـ طـفـلـاـ .ـ ثـمـ يـمـوتـ شـيـخـاـ .ـ
وـكـانـ لـكـلـ مـرـحـلـةـ مـنـ مـراـحـلـ عـمـرـهـ مـاـ يـنـاسـهـ مـاـ يـنـاسـهـ مـنـ الـغـذـاءـ وـالـتـرـبـيـةـ .ـ
فـكـذـلـكـ كـانـ الـإـنـسـانـيـةـ فـيـ مـراـحـلـهـ الـأـوـلـيـ كـمـ قـرـرـ ذـلـكـ عـلـمـاءـ
الـاجـتمـاعـ وـالـتـرـبـيـةـ .ـ

يـقـولـ القرآنـ :ـ

«ـ شـرـعـ لـكـمـ مـنـ الدـينـ مـاـ وـصـىـ بـهـ نـوـحـاـ .ـ وـالـذـىـ أـوـجـيـاـ إـلـيـكـ .ـ وـماـ
وـصـبـاـ بـهـ إـبـرـاهـيمـ وـمـوسـىـ وـعـيـسـىـ أـنـ أـقـيمـواـ الـدـينـ وـلـاـتـفـرـقـواـ فـيـهـ »ـ
(الشـورـىـ - ١٣)ـ

وـ فـيـ هـذـاـ يـقـولـ النـبـيـ مـحـمـدـ (صـ)ـ :

«مثلي . ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فاحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون به .. ويعجبون له وبقولون : هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

من أجل ذلك يقرر القرآن بأن دين الله واحد منذ الأزل . فلذا قال القرآن : إن الدين عند الله الإسلام . فذلك لأن الإسلام في صورته الأخيرة التي جاء بها النبي محمد . صورة شاملة لكل الرسلات السابقة وعقيدة شاملة لكل الكتب السماوية السابقة ، ودين شامل لكل أنبياء الله السابقين ورسله .

يقول القرآن :

«ووصى بها إبراهيم بنه ويعقوب يا بنى إن الله أسطنى لكم الدين فلا تموتون إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء ، إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من يعدي . قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وبسماعيل وإسحاق إها واحداً ونحن له مسلمون ، (البقرة ١٣٢ - ١٣٣) .

«وقال موسى يا قوم إن كنتم آتني بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » (يونس - ٨٤) .

«فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله . واثهد باننا مسلمون » (آل عمران - ٥٢ -

ولَا كَانَ مِنْ مَعْنَى الْإِسْلَامُ «الْأَنْتِيَادُ وَالْخَضُوعُ لَهُ» فَلَمَّا قَرَأَ الْقُرْآنَ
يَعْتَبِرُ كُلُّ مَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُسْلِمًا . لَأَنَّ كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ خَاصٌّ
لِقَوْاعِدِ اللَّهِ وَمُشَبِّهٍ فِي الْخَلْقِ وَالْحَيَاةِ .
«وَلَهُ أَنْلَمُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» (آل عمران - ٨٣)

بل يَعْتَبِرُ الْقُرْآنَ عَالَمَ الْحَيَاةِ وَالظَّبَرِ أَمْمَةً مِنَ الْأَمْمِ . هُنَّ حُرْفُوقٌ
يَجِبُ أَنْ تَلْتَرِمُ وَتَعْتَمِلُ بِأَسْلُوبٍ يَرْاعِي وَيَحْتَرِمُ ...
«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطْبَرُ بِعَنَاحِيهِ إِلَّا أَنْمَلَكُمْ»
(الأنعام - ٣٨) .

وَفِي هَذَا يَقُولُ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ اشْتَدَ عَلَيْهِ الْعُطَشُ . فَوَجَدَ بَشَرًا فَنَزَلَ فِيهَا
وَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ...
فَرَأَى كُلَّا يَلْهُثُ . يَا كُلَّ الْثَّرَى مِنَ الْعُطَشِ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
قَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعُطَشِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي .
فَنَزَلَ الْبَشَرُ . فَلَأُخْفِهِ ثُمَّ أَمْسِكَهُ بِفَيْهِ (أَيْ فَهِ) فَفَتَّى الْكَلْبَ .
فَشَكَرَهُ اللَّهُ . فَغَفَرَ لَهُ .

قَالُوا - أَيُّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - يَا رَسُولَ اللَّهِ ..
وَإِنَّنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرُوا
فَقَالَ : فِي كُلِّ ذَاتٍ كَدْ رَطْبَةُ أَجْرٍ ..
وَقَالَ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ :
لَا تَتَخَنَّوْا ظَهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرٍ إِنَّمَا سَخَرُوكُمُ اللَّهُ نَكِمْ لِتَلْعَبُوكُمْ إِلَى
بَلْدَكُمْ تَكُونُوا بِالْغَيْرِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ .

وحين رأى أحد أصحابه يحمل طائرًا في يده ونظر أم هذا الطائر
تحوم فوق رأسه . اعترض على هذا العمل وقال :
من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدتها إليها ..
وقال : ما من مسلم يغرس غرسة أو يزرع زرعاً ليأكل منه طير أو
إنسان أو بيضة إلا كان له به صدقة ..
وفي ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمين من أحكام الرحمة
بالحيوان ما لا يخطر على بال أحد ...
فهم يقررون : أن نفقة الحيوان واجبة على مالكه . فان امتنع أجبر
على بيعه أو الإنفاق عليه ...
يل ذهبا إلى أبعد من ذلك فقالوا :
إذا لجأت قطة عمياء إلى بيت شخص وجيئ نفقتها عليه لأنها لا
تستطيع الذهاب إلى مكان آخر !
وقالوا أيضًا :
إن لكل حيوان طاقة خاصة فلا ينبغي أن يحمل حيوان أكثر من
طاقته .. وحددوا لكل نوع من أنواع الدواب أقصى ما يمكن أن
يتحمله ..
وأكثر من هذا : فإن أغبياء المسلمين كانوا يوقفون بعض أملاكهم
لرعاية الحيوانات المسنة والمريضة . وإطعام الكلاب والقطط الضالة ..
وفي تاريخنا تقرأ قصة امام اسمه «أبو إسحاق الشيرازي» .. هذا
الإمام كان يمشي في طريق مع بعض أصحابه . فتعرض لهم كلب
كان يمشي في الطريق . فحاول بعض أصحاب هذا الإمام رجم هذا
الكلب وإرغامه على الفرار والهرب .

فصاح الإمام فيهم فائلاً :

اتركوا الكلب وشأنه .. أما علمت أن الطريق مشترك يبتا وبينه .. ا
ومتنى حدث هذا ..

حدث هذا قبل أن تعرف أوروبا .. وتكشف أميركا ... وقبل أن
يسمع أحد بقارة اسمها أستراليا ...
ومعذرة إذا قلت :

إن المجتمع الأوروبي .. لا ينجذل من تناقضه مع نفسه ، فحين
أطلق الروس أول سفينة هضابية تحمل كلبة اسمها «لايكاء» .. فإن هذا
المجتمع الأوروبي - أو الغربي - ثار على وحشية الروس الذين أطلقوا
هذه الكلبة دون توفير الأمن والحماية لحياتها في طبقات الجلو العليا ...
بينما هذا المجتمع الأوروبي الأميركي يقف متفرجاً فرحاً لدى
سماعه بأنباء المذابح الجماعية التي تدبر للمسلمين في قاريء آسيا
وإفريقيا ... ؟

• • •

وبعد : فهذه هي عقيدة القرآن ونظرته الشاملة لكل ما في هذا
الكون .

ولكن ما أكثر العقائد والفلسفات التي عرفها الإنسان منذ ظهر
فوق هذه الأرض ... عقائد ونظريات بقيت مسطورة - حتى يومنا
هذا - بين صفحات الكتب ، أو حبيبة في عقل الفيلسوف أو الكاتب .
فإذا خرجت من عالم المثال والفكير إلى واقع الحياة والتنفيذ لم تزد
الإنسانية بها إلا شقاء على شقاء وكانت وبالاً على صاحبها قبل أن تكون
وبالاً على غيره من الأشقياء ..

فهل حدث هذا مع الإسلام حين طبق ؟
سأضرب لكم مثلاً واحداً على ذلك . وهو موقف الإسلام من
تحريم الخمر ... يقول المفسرون :
عندما نزلت آية : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب
والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتبوه لعلكم تفلحون ، إنما
يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم مت惚ون » (المائدة -
٩١) .

يقول المفسرون : ما كاد الناس يسمعون هذه الآية حتى أراقوها ما
ما بأيديهم من الخمر وهم يقولون : « انتينا باربنا انتينا » .

إن الإقلاع عن شرب الخمر بهذه الصورة أمر مثير للدهشة ،
ولكن الأكثر من ذلك عجباً ودهشة أن يقع ذلك من قوم كانت
الخمر تجري في دمائهم وقد أطلقوا عليها أسماء وصفات مختلف
باختلاف ساعات ليلهم ونهارهم .

قارنوا بين هذا الموقف .. وبين ما حاولته حكومة الولايات المتحدة
الأمريكية .

لقد حاولت الحكومة الأمريكية تحريم شرب الخمر . وسنست
القوانين الرادعة لتأكيد هذا التحريم ومعاقبة من يخالف هذا الأمر .
لقد أنفقت مئات الملايين من الدولارات في الدعاية لهذا المشروع ،
وبلغ عدد الصفحات والنشرات والكتب التي ألفت وزارت ليان ما
في الخمر من مفاسد وأضرار حوالي عشرة بلايين صفحة .. واستمرت
الحملة قرابة أربعة عشر عاماً ... أعدم فيها ثلاثة عشر شخص ..

وسجن فيها أكثر من نصف مليون ، وصودرت فيها أموال وأملاك الآلوف من المواطنين ..

وبالرغم من كل هذه الخسائر والتضحيات . فقد زاد الشعب الأميركي على إصراراً على الشرب .. ولم ترده هذه القوانين إلا ولما وإغراقاً في اختفاء الخمر مما أدى إلى إلغاء هذا القانون في نهاية الأمر ..

لقد كان الفناخ باللقب والنسب . والتعصب للفقيلة والأهل من السمات البارزة في حياة العرب . ولكننا نسخ أن رجلاً من أشراف العرب هو أبو ذئر الغفارى يضع وجهه على الأرض ثم يطلب من « بلال » العبد الجشى أن يطأه بقدمه .. ولماذا .. ؟

لأن أبي ذئر قال ذات مرة لبلال : يا ابن السوداء .. فلما سمع النبي بذلك قال :

طف الصاع - أي تجاوز الأمر حده .

ثم دعا أبي ذئر وقال له : أغيرته بأمه ؟ إنك أمرؤ فيك جاهلية - أي لا تزال فيك بقية من الكفر - إنه ليس لابن البيضاء فضل على - ابن السوداء إلا بالتفوى ..

إن الميزان القرآني لا يفرق بين بشر وبشر ، إنه حين يقول : يا أية الناس فلما يعنى بهذا النساء كل إنسان منها يمكن لونه أو جنسه أو عقيدته . وجميع الآيات التي تقرر كرامة الإنسان تبدأ بهذا النساء الشامل الجامع - يا أية النساء - تأكيداً لحق الإنسان . أي إنسان في الكرامة وحرية الفكر والعقيدة .

وقد ظن بعض أقارب النبي أن لهم بحکم هذه القرابة حقاً

مكتبة وامتيازات خاصة . فرفض النبي هذه التفرقة وصرفهم عن
هذه الكلمة الفاسدة .

«لا يحيط الناس بالأعمال وغيبتي بالأقوال» .

إن القرابة هنا ليست دماً ولحماً . العدالة والحق فوق كل شيء ..
ليس هنا مجال للتفرقة تحت أي شعار من شعارات الجاهلية البائدة ..
فالناس سواسية كأسنان المشط يستوي في هذا الترقيب الأقرب والبعيد
الأبعد .

ألم يقل الله لنوح عليه السلام عن ولده «إنه ليس من أهلك ، إنه
عمل غير صالح» (هود - ٤٦) .

لقد اختار الابن طريقاً غير طريق أهل الحق فليس لأبيه أن يطلب
له النجاة من عقاب أهل الباطل .

يقول القرآن :

«يا أهلاً الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين . إن يكن غبناً أو هتيراً فاته أولى بهما
فلا تتبعوا الموى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما
تعملون خيراً» (السباء - ١٣٥) .

• • •

وابيًّا ما كان الأمر فسيقى هذا اللقاء علامة مضيئ في طريق الحق
والحقيقة ... معرفة أكثر تفهمها وعمقاً لما بين الإسلام والمسيحية من
تضاد وتشابه . أو تقارب وتناقض

إنه لقاء من أجل الحق كما بشر بذلك سيد هذا «العبد» أو كما
أكده ذلك الإسلام على لسان النبي محمد ..

وشكراً لكم .. وأهلاً وسهلاً باستلهمكم ؟

• • •

- السيدة «جين» والأنسة «موزان» :

قلتم إنكم تؤمنون بالتوراة والإنجيل . إن هذا الشيء رائع حقاً ...

• • •

• نعم نحن نؤمن بالتوراة والإنجيل ..

ولكن أيه توراة وأي إنجيل ؟

ما أصعب الإجابة .. وأشد من كل ذلك صعوبة ما سوف تسمعونه
رداً على هذه الأسئلة ..

هل التوراة . أو ما يسمى بالعهد القديم . هو الوحي المترد على
موسى نبى الله حقاً ؟

وبعبارة أكثر وضوحاً .. هل ما تقرؤونه الآن .. فيما يسمى بالعهد
القديم . هو «كلمة الله» الوحي بها إلى الأنبياء والرسل ... ؟
إلى أنسحلكم العذر عما تحمله إيايا من وضوح وصراحة ونكتها
جريئة أن يحمل أحداً بغير الحق .. وجرعية ضد العقل أن تنكر عقولنا فيها
نحن بصدده من تغريب الحقيقة التي لا يغريها غموض ولاشك .

وبادئ ذي بدء .. اسمحوا لي أن أدع جانباً القرآن ، كتاب المسلمين
المقدس .. لاني لن أجيأ إليه في هذه المناقشة . لأنني أعلم سلفاً أنكم لانتعرفون
بهذا القرآن ولا تعرفون بالنبي محمد الذى أنزل عليه هذا القرآن .

هنا دائرة المعارف البريطانية .. فاقرؤوا ما كتب فيها إن شئتم . وقد

فوجئت أيضاً بكتاب العالم الفرنسي موريس يوكاي^(١) مترجمًا إلى اللغة الإنجليزية . ورأيت كتباً أخرى كثيرة متخصصة في دراسة التوراة والإنجيل وما أعتبرها من التحرير والتغيير في مراحل سابقة متقدمة .

فماذا تقول دائرة المعارف البريطانية : ؟

إن البداية الحقيقة للعهد القديم تنتهي إلى الستين التائيني .
· فقد قيل : إنه في نهاية القرن الأول الميلادي حرقت نصوص العهد القديم وأن «عزراه قد ألمته الشاه لإعادة صياغتها فأتم إلاته على أربعة من الكتبة لمدة أربعين يوماً ليتجدد هذا الإلهام في أربعة وسبعين كتاباً منها أربعة وعشرون ، هي كل نصوص العهد القديم ..

أما السبعون الأخرى فكانت من صياغته هو ... ١

· ويقولون أن كتب «عزرا» السبعين بدت العهد القديم حكمة وصياغة ودقة ... :

· هذه الأسطورة تحتاج إلى دليل لترقى إلى مرتبة الدليل .
· مع نهاية القرن الثالث عشر انتشرت الفكرة السائدة بأن العهد القديم انتهى بنهاية «عزرا» وكان على رأس المئتين هذه الفكرة «الياس ليفيتا» ١٥٣٨ م و «جوهانز باكتسروف» سنة ١٦٦٣ م^(٢) .

ويقولون :

إن أول معرفة جادة بالعهد القديم كانت في الفترة الواقعة بين القرن السادس والقرن الثامن .

(١) دراسة للكتب المفقودة في ضوء المعارف الحديثة . - دار المعارف . القاهرة .

(٢) انظر دائرة المعارف البريطانية . الجزء الثالث ص ٥٠١ . تحت كلمة BIBLE .

• هذه الفترة الزمنية الطويلة كانت كفيلة بالإضافة والمحذف والتضليل والتغيير .

• وفي القرن التاسع بدأ تكوين كوكبة من الدارسين بإعادة صياغة العهد المهد القديم وكانت صياغتهم لغوية بحثة ..
وإن كثرة الترجمات مع اختلاف المصادر جعلت من الصعب الاتفاق على نص موحد .

• لقد كانت هناك أصول كثيرة للعهد القديم قلما يتشابه اثنان منها مع بعضهما البعض . لذلك فإن الترجمات التي اعتمدت على أصول مختلفة لم تقل هي الأخرى اختلافاً من ناحية النص والترتيب الرمزي ^(١) .
أما المؤلف والمفكر الفرنسي «موريس بوكاي» فيبدأ كلامه بهذه الأسئلة :

من مؤلف التوراة ؟

وفي أي عصر كتبت ؟ وعن أي لغة ترجمت ؟
لقد أجاب هذا العالم عن كل هذه الأسئلة بما يؤكد وجود تحريف وإضافات كتبها أناس من اليهود في عهود مختلفة .. وقد اختلطت هذه التحريرات والإضافات ببقايا «وحى» فقد أصلته وبريقه وسط هذا الزركام من الإضافات الكاذبة ، والتحريفات المتعددة ، والتناقضات الصارخة ..

في سفر «التكوين» كما يقول «موريس بوكاي» توجد أكثر هذه التناقضات وضيحاً وصراحة .

(١) دائرة المعارف البريطانية الجزء الثالث صفحة ٥٠٨

ولنضرب لذلك مثلاً بقصة «الطوفان»، وما فيها من تناقضات تحيي
العقل وتثير الحيرة والشك .

إن للطوفان . حسب هذه النصوص . مدتین مختلفتين : إذ يقول رواية
أربعون يوماً فيضاناً . على حين يقول رواية أخرى مائة وخمسون يوماً . ولا
نحدد إحدى الروايات تاريخ وقوع هذا الحادث من حياة نوح . ولكن
رواية أخرى تخلده حين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة . وتعطى نفس هذه الرواية
إشارات عن موقعه الزمني بالنسبة لآدم وبالنسبة لإبراهيم . والتي يقول إن
سوجا قد ولد بعد ١٠٥٦ عاماً من آدم . فإن الطوفان . حسب هذه
الرواية . يكون وقع بعد ١٩٥٦ عاماً من خلق آدم وبالنسبة إلى إبراهيم
فيحدد سفر التكوين الطوفان بـ ٢٩٢ سنة قبل ميلاد هذا الآب الأول .

ولكن . كما يقول سفر التكوين . يعم الطوفان كل الجنس
البشري . وكل الكائنات الحية التي خلقها الله قد أعدمت على الأرض
حسب هذه الرواية .

إن البشرية . والأمر هكذا . تكون قد أعادت تكوين نفسها ابتداء
من أولاد نوح وزوجاتهم . بحيث أنه . عندما يولد إبراهيم بعد ذلك
بثلاثة قرون تقريباً . فإنه يجد الإنسانية قد أعادت تكوين نفسها في
مجتمعات .

كيف يمكن لإعادة البناء هذه أن تتم في زمن قليل إلى هذا الحد ..؟
إن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن الناصرية مغلوطة .

أكثر من ذلك فاللهاقات التاريخية ثبتت استحالة اتفاق هذه الرواية
مع المعرفة الحديثة . الواقع أن عصر إبراهيم يحدد بانسنتوات

١٨٥٠ - ١٨٠٠ ق . م تقريباً فإذا كان الطوفان قد حدث قبل ثلاثة قرون من إبراهيم . كما يوحى بذلك سفر التكوين فإن الطوفان يقع في القرن ٢١ أو ٢٢ ق . م . وذلك هو العصر الذي كانت قد ظهرت من قبله في نقاط مختلفة من الأرض حضارات هائلة كثيرة .

على سبيل المثال فهذه الفترة ، بالنسبة لمصر ، هي التي تسبق الدولة الوسطى (٢١٠٠ ق . م) وهذا بالتقريب هو تاريخ الفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة . وفي بايل أسرة أور الثالثة . ومن المعروف جيداً أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات وبالتالي لم يحدث إعدام يعم البشرية برمتها كما نقول التوراة ، وبالتالي فلا يمكن اعتبار أن روایات التوراة الثلاث تصف للإنسان أموراً تتفق مع الحقيقة .

وإذا أردنا أن نكون موضوعين فلا بد أن نقول بأن هذا النصوص التي وصلت إلينا لا تعبر عن الحقيقة . وهل أنزل الله شيئاً غير الحقيقة . الواقع أنه من غير الممكن تصور فكرة إله يعلم الناس بالاستعانت بأوهام بل بأوهام متناقضة . وطبعاً أن يثير ذلك يغراض وجود تحرير بواسطة البشر - إما في الأقوال المتراءة التي انتقلت شفهياً من جيل لآخر أو في النصوص بعد تحديد هذه الأقوال المتراءة .

وعندما نعرف أن مؤلفاً مثل سفر التكوين قد عدل على الأقوال مرتين . وهذا على مدى ثلاثة قرون فكيف ندهش حين نجد فيه أموراً غير معقولة أو روایات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء^(١) .

(١) انظر كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعرف الحديثة تأليف العالم العربي الدكتور سوريس توكلاني ص ٥٤ - ٥٣ - دار المعارف - القاهرة .

ولا يكفي سفر التكوبين بهذا المقدار من المتناقضات بل يعود ثانية ليؤكد أن الله قد ندم على إغراق الأرض بهذا الطوفان . وبعد نيه نوحأً بعدم تكرار ذلك في مستقبل الأيام والزمان ؟
وكلم الله نوحأً وبنبه معه قائلاً : ... ألم مياثي معكم فلا ينفرض كل ذي جد أيضاً بيه الطوفان . ولا يكون أيضاً طوفان ليحرث الأرض .

ـ قال الله : هذه علامة الميثاق الذي أذن وضعته بين وبينكم . بينكم دواث الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال المدهر وضعت قوسى في السحاب فتكون علامة مياثق بين وبين الأرض . فيكون مني التشر سحباً على الأرض وتنظير القوس في السحاب .. ففي كنان القوس في السحاب أصره لأذكر مياثقاً أبداً بين الله وبين بكل نفس حبة في كل جد على الأرض ... ١١ .

• • •

إن الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم . وانه ليس غرقاً استریعب سكان القارات الخمس . فما ذنب هؤلاء المساكين وتوجه رسالته محلية لا عالمية اللهم إلا إذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب ديار نوح فقط ...

وابنما كان الأمر فإن وصف الله بالضيق لما ارتكب من إغراق الأرض ثم ندمه بالآ يفعل ذلك أمر يليق بالعبد لا بالسيد .. بالمخلوق . لا بالخالق ...

(١) الاصح والطبع من سفر التكوبين .

ثم ماذا يقال عن القصة التي تحكي مصارعة بين « الله » سبحانه ..
 وبين أحد أنبيائه عليه صلاة الله وسلامه ..

كانت هذه ، المصارعة » كما جاء في سفر التكويرين بين ... الله ..
 وبين « يعقوب » ... وقد دامت هذه المصارعة وقتاً طويلاً كاد يغزو
 فيها يعقوب لو لا أن الطرف الآخر في المصارعة - وهو الله - جلأ إلى
 حيلة غير رياضية هزم به يعقوب ...^(١)
 ومع ذلك فإن يعقوب نسبت يالله وأبى أن يطلقه حتى نال منه
 لقب « إسرائيل » ..

ومنحه الله هذا « اللقب الفخري » ثم نزكه ليصعد إلى العرش
 ويدبر أمر السماء والأرض . بعد تلك المصارعة الرهيبة ...
 وهذه هي القصة بأحرفها من سفر التكويرين :

... فبني يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . وبنـا
 رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذله فانخلع حق فخذل يعقوب في
 مصارعته معه . وقال : أطلقني .. فقال : لا أطلقك إن لم تباركني .
 فقال له : ما أسلك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعني أسلك في
 ما بعد يعقوب بل إسرائيل ..

وسأل يعقوب وقال : أخبرني بأسلنك فقال : لماذا تأسـل عن اسمي ؟
 وبـاركـهـ هـنـاكـ . فـدـعاـ يـعقوـبـ اـسـمـ المـكـانـ «ـ قـيـنـيـلـ ،ـ قـائـلـاـ »ـ لأنـيـ نـظـرـتـ
 اللهـ وـجـهـ لـوـجهـ وـنـجـيـتـ نـفـسيـ ..ـ لـذـلـكـ لـاـ يـأـكـلـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ «ـ عـرـقـ
 السـاـ »ـ الـذـيـ عـلـىـ حقـ الفـخـذـ إـلـىـ هـذـاـ الـيـوـمـ لـأـنـهـ (ـالـلـهـ)ـ ضـرـبـ حقـ فـخـذـ

(١) ملخص عن كتاب « فدائق الحق »، ندوة إسلامية لشيخ عصـدـ لـغـزـىـ

* * *

ولستجاوز هذه القصة إلى قصة أخرى عن يعقوب نفسه الأب المباشر للبيهود والذي أخذ لقب إسرائيل بعد معركة حامية مع الله نفسه ظلت ليلاً طويلاً والذي سمي البيهود دولتهم القائمة باسمه ..؟
إن هذا النبي عندنا نحن المسلمين جليل نيل . شارك آباء في الدعوة إلى الله ، ونبذ الوثنية ورفع علم التوحيد وإقامة الله المسحة . لكنه عند كاتب التوراة شخص محتال سرق النبوة من أخيه بطريقة عجيبة .

ولكن كيف . ولماذا ..؟

لقد كان البيهود يخسرون الابن البكر بالتركة كلها مادية كانت أو أدبية . وعلى هذه كان « عيسو ، الابن الأكبر لاسحاق هو الذي سرط اللقب والمال » - مثلاً كان يحكم القانون الإنجليزي - ولكن أم يعقوب تفاوضت مع ولدها على غير هذا - وانتزرت أن « عيسو » خرج ليحضر الطعام إلى أبيه المكوف ثم ثفت خطتها . وهذه هي التفاصيل كما حكها شعر ، التكويرين « .. تفاصيل سرقة نبوة .. ! »

.. وكانت رفقة^(٢) سamente إذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه . فذهب عيسو إلى ابهرية كي يصطاد حيداً ليأكله به . وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قاتلاً : التي بصيد

(١) نقلأً عن كتاب قذائف الحش

(٢) سر التكبير لاسحاق ٦٦

واصمع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي ، فالآن يا ابني
اسمع لقولي فيما أنا آمرك به .

اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى
فاصنعها أطعمة لأبيك كما يحب ، فتحضرها إلى أبيك لتأكل حتى
يركك قيل وفاته ، فقال بعقوب لرفقة أمه : هو ذا عيسو أخى رجل
أشعر ، وأنا رجل أملس ، وبما يحسني أني فأكون في عينيه كمتهان
وأجلب على نفسي لعنة لا بركة .

قالت له أمه : .. اسمع لقولي فقط ..
وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها
في البيت وألبت بعقوب ابنها الأصغر . وألبت بدبه وملاسة عنقه
جلود جديبي المعزى .. فدخل إلى أبيه وقال :

يا أبي : هنا أنا .. فقال من أنت يا بوي ؟ فقال بعقوب لأبي :
عيسو بكرك .. فد فعت كلامي .. قم اجسس وكل من صبدى تكى
يركتنى شفت ..

قال إسحق بعقوب : تقدم لأجيتك يا ابني .. أنت هو ابني
عيسو أم لا .. فجده وقال : الصوت صوت بعقوب ولكن اليدين
يدا عيسو .. فباركه .. وقال : .. فليعطيك الله من ندى السماء ومن
دم الأرض .. لستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل .. كن سيداً
لآخرتك .. وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنك ملعونين وبباركوك
مباركين »⁽¹⁾ .

(1) نكتوب ٤٧

وهكذا ثمت سرقة رسالة سماوية ...^{١١}.

• • •

ثم أي قداسة نبغي لكتاب يعرض على الزنا . وينزل بالأنباء
وبيانات الأنبياء إلى هذا الدبرك .. من الفتن والخيانة ..

هل شاهدتم فيلم الوصايا العشر .. ؟ The Ten Commandments.
إني أذكركم باسم هذا الفيلم الذي أنتج منذ حوالي عشرين عاماً
وأخرجه ، سيل دي ميل ، الداعم الصبت .. في عالم السينما والمسرح ..
هل يعقل أن يكوننبي الله موسى قد عاش حياته كما صور في هذا
الفيلم بصورة الفتى العاشق أو «الدون جوان» المتقلب .. ؟
نعم هل يعقل أن يدعونى من أنبياء الله شأنه - لتحية ضيوف زللو عنه
بالغاء والمطرد والرقص ..

ولكن ما رأينا في فيلم «الوصايا العشر» يهون ملبيون مرة أعمام ما
نقرأ في سفر «التكوين» من مخجلات تتضاءل أمامها كل موبقات
العصر ...

هل يستقيم في نظر أي عاقل أن يزفي رجل بيته .. فإذا كان هذا
الرجلنبياً فائي الكلمات .. في أي اللغات يمكن أن تعبر عن هذا
المخط والتفز ..

إن النبي من وجهة نظر أهل العقول إنسان متزه عن الفائق .. إنسان
محترم من الله .. إنسان لا يتوقع من منه خطأ . فكيف بالحقيقة .. ؟
وهل يصدق الناس إنساناً يقول ما لا يفعل ؟ وفي أي شيء .. ؟
في إباحة الزنا وشرب الخمر .. ؟

١١ من كتاب فاتح حر

مع بناته ... بناته الالق يحمل - سفاحاً - من أثيم النبي المولى ..
هل بتعل ذلك ؟ لا أحد منا يصدق .. ولكن العهد القديم يذكر
لنا قصصاً من هذا النوع القبيح المفجع ..
وكيف .. ؟

افتتحوا الكتاب الذي بين أيديكم ، واقرءوا معنـي السفر التاسع عشر
من سفر التكوير ذاته ..

.. وصعد لوط من صوغر وأقام في الجبل هو وابنته معه . إذ خاف
أن يقيم في صوغر فأقام في المغارة هو وابنته . فقالت الكبرى للصغرى .
إن أباها قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا . تعالى نسقي
أباها حمراً وضاجمه ونقم من أباها نسلاً .

فقط أباها حمراً تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ولم يعلم
بسامها ولا قيامها .

فلا كان الغد قالـت الكبرى للصغرى هـا أنتـا ضاجـعت أـنـي فلسـقة حـمراـ
الليلـة أـيـضاـ وتعـالـي أـنـتـ فـضـاجـعـهـ لـنـقـمـ منـ أـبـاـهاـ نـسـلاـ . فـقطـ أـبـاـهاـ حـمراـ
تـلـكـ اللـيلـةـ أـيـضاـ . وـقـاتـ الصـغـرىـ فـضـاجـعـهـ وـهـ يـعـلـمـ بـسـامـهاـ وـلـاـ قـيـامـهاـ
فـحـمـلـتـ اـبـتـاـ لـوـطـ مـنـ أـبـيـهـاـ وـوـلـتـ الـكـبـرـىـ أـبـاـهاـ وـسـمـهـ «ـمـوـاتـ»ـ وـهـوـ أـبـوـ
الـمـوـائـيـنـ إـلـيـ الـيـومـ . وـالـصـغـرىـ أـيـضاـ وـقـدـتـ أـبـاـهاـ وـسـمـهـ ، بـنـعـيـ «ـوـهـوـ أـبـوـ بـنـ
عـونـ إـلـيـ الـيـومـ»ـ .⁽¹¹⁾

(11) سفر التكوير - الاصحاح التاسع عشر .

هل يعقل هذا؟ هل تستطيع عقولكم ذلك من رجل عادي يعيش
هنا في كجز كروس¹¹ Kings Cross .. وهل سمعته
بفتاة تراود أباها عن نسمة فإذا رفض سفته خمراً ل تمام معه؟ ..
أقول هل يحدث هذا في زماننا نحن ..؟ وفي مثل هذا المجتمع
الذي لا يحرم الجنس . ويعتبره ضرورة من ضرورات النفس؟

* * *

أما بالنسبة للإنجيل . أو العهد الجديد فقد جرى له ما جرى لما قبله :
نفس الشيء نفس المقصة .
وكما قررت سلفاً فلابن أرجع إلى القرآن لأنقل عنه قوله أو رأيـاً ..
سأكتفى بأقوال بعض علماء اللامهوـت في الغرب المسيحي لا الشرق
الإسلامـي . ولا يأس من الاستشهاد بأقوال عالم فرنسي متخصص .. إنه
ليس موريـس بوكـاي هذه المرة .. ذلك لأن موريـس بوكـاي قد غير عقـيـدـته
واختار الإسلام بعد دراسـة ..؟
 وإنما أقصد ، شـارـل جـينـير ، أـسـتـاذـ المـسـيـحـيـة . وـرـئـيسـ قـسـمـ تـارـيخـ
الأـديـانـ في جـامـعـةـ بـارـيسـ . وـذـكـرـ في مـؤـفـهـ عنـ «ـالـمـسـيـحـةـ» ، نـشـاطـهـ
وـتـطـوـرـهـ ،

* * *

وقد ظهر في الآونة الأخيرة كتاب من أهم الكتب التي تعرضت
للـمـسـيـحـيـةـ وـكتـبـهاـ المـقـدـسـةـ وقدـ كـتـبـ بأـقـلـامـ مـجمـوعـةـ منـ عـلـمـاءـ الـلامـهـوتـ
فيـ بـلـادـ الغـربـ . وقدـ طـبعـ هـذـاـ الـكـتـابـ فيـ الـقـاهـرـةـ . بـعـدـ تـرـجـمـتـهـ إـلـىـ

(1) حـىـ لـيـاهـ فىـ مـدـيـبـ سـبـيـشـ

اللغة العربية . وعلق عليه أحد أساتذة جامعة الأزهر الإسلامية
الغربيّة^(١) .

وأهمية هذا الكتاب ترجع إلى كونه كما جاء في عنوانه (خلاصة
أبحاث علماء المبجعية في الغرب) وأهم هذه الأبحاث التي اعتمد
عليها جاءت في الكتب الآتية :

كتاب «الأناجيل . أصلها وتطورها» للدكتور فريديريك كلنتر
جرانت ، أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت
الاتحادي بنيويورك .

وكاب . كتابات مقدسة ، مؤلفه الأستاذ جنر لانز كوف斯基 ،
المتخصص في تاريخ العقائد بجامعة هيدلبرغ الألمانية .

وكاب «تفسير الجيل مرقس» للأستاذ دينيس ارينك ابنهام ،
أستاذ اللاهوت بجامعة لندن . ورئيس تحرير سلسلة بلكمان لتفسير
الإنجيل .

وكاب «تفسير الجيل متى» مؤلفه جون فنتون . عميد كلية
اللاهوت بلتشفید بالإنجليزية .

وكاب «تفسير الجيل لوقا» مؤلفه الدكتور جورج بردفورد

(١) اسم الكتاب «ال المسيح في مصادر معتقدات المبجعية - خلاصة أبحاث علماء المبجعية في
الغرب . وقد قام بتألّفه في اللغة العربية - المهندس أحمد عبد الوهاب وفاطمة شره وطنه
مكتبة وهران . ومتكرر - في عرض ملحوظ في هذا الكتاب - بعض ما كتبه الدكتور بخيت عاشور
الأستاذ بجامعة الأزهر من تأسيس وصف دقيق لأهم نصوصه وألقى تفضل من تكريه بشارة
معهد الأزهر . - خبر الرابع - السنة الحادية والخمسين - جمهور الأولى ١٣٩٩ هـ .

كبير» . الذي عمل أستاذًا لدراسات العهد الجديد بجامعة مونجيبل
بكندا . ثم عميداً لكلية اللاهوت المتحدة ثم أستاذًا بجامعة أكسفورد .
ثم رئيساً للجمعية الكندية لندراسة الكتاب المقدس .

وكتاب «حسب الكتاب» مؤلفه الدكتور «شارلز هارولد دود»
الذي عمل أستاذًا لتفسير الكتاب المقدس بجامعة مانشستر . ومديراً
عاماً للجنة الترجمة الحديثة للكتاب المقدس : ويمثل هذا الكتاب .
مجموعة محاضرات ألقاها في كلية اللاهوت ببرستون .

وكتاب «أمثال الملوك» مؤلفه المذكور سابقاً ويمثل الكتاب
مجموعة محاضرات ألقاها في مدرسة اللاهوت ببرستون .

وكتاب «تاريخ العقيدة» مؤلفه الدكتور «أدولف هونك» أستاذ
تاريخ الكنيسة بجامعة برلين ، ويعتبر واحداً من أكبر العلماء في
التاريخي الكنيسي - كما يقول المؤلف - وله أبحاث ومؤلفات عديدة
من أهاها هذا الكتاب الذي يقع في سبعة أجزاء وقد ظهرت طبعاته الثالثة
الألمانية عام ١٨٩٣ م .

وكتاب «اعتراضات على العقيدة المسيحية» مؤلفه :
أستاذة كلية اللاهوت بجامعة كمبردج : الأستاذة «ماكينون» .
وفيذر . ووبيلامز ويزنت . يقول هذا الكتاب : وقد نشر لأول مرة
في أبريل عام ١٩٦٣ م وتلفته الأيدي حين ذاك . فصدرت منه
ثلاث طبعات في نفس الشهر : يقول المؤلفون في المقدمة :

إن هذا عصر أصبحت فيه أساسيات العقيدة المبحة موضع ارتياح
وإن الدعاوى التي تقوم ضد المسيحية بعد من الممكن مواجهتها بتذكر
الحجج القديمة أو تلك التحريرات انواهية » ...

ويبدأ الكتاب الذي بين أيدينا بالكلام عن مصادر المقادير المسيحية كما جاءت في العهد الجديد ، وينصب البحث هنا على التحقق من قانونيتها . ويخرج القارئ من هذه الدراسة خلاصة مفادها : أنه فيما يتعلق بالزمان والمكان والكيفية التي اكتسبت بها الأنجيل الأربعه الصبغة القانونية – أي صارت مقبولة من الكتبة – ومن ثم اعتبرت مقدسة . ووفقاً لما جاء في دائرة المعارف البريطانية الجزء ١٧ ص ٥١٤ لعام ١٩٦٠ لا يملك العلماء إلا أن يقولوا : « ليس لدينا أي معرفة محددة بالكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأنجيل الأربعه ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك – وما يجب ملاحظته أن كلبمت الرومي – عام ٩٧ م وويليكارب عام ١١٢ م – قد استشهد كل منها بأقوال لل المسيح في صيغ مستقلة في الأنجيل التي صارت قانونية فيما بعد ..

وأما فيما يتعلق بقانونية العهد الجديد ككل فنلاحظ أن عملية بنائه وتقرير شرعية كتبه قد استغرقت حوالي ٣٥٠ عاماً – وإلى بداية القرن الرابع « كان يوجد كثير من البلبلة – وبصف « ايزبيوس » هذا الوضع فيقسم الكتاب إلى ثلاث طبقات : كتب قبلت بوجه عام ، وكتب لا تزال موضع جدل لكن اعتبرت بها على نطاق واسع وكتب مرفوضة .

أي الكتابات المسيحية تعتبر مقدسة وتجمع معها تكون في العهد الجديد ؟ إلى الآن – وبعد ان اقرب الألف الثاني نيلاد المسيح – لم يمكن الوصول إلى السؤال الأهم . بل والأخطر ألا وهو : أي الأقوال نطق بها المسيح في انجيله وتحدث بها التلاميذ في

رسائلهم ؟ لقد ظهرت الأنجليل بنصوص مختلفة وكلما مررت عشرات من السنين ظهرت نفس الأنجليل بنصوص مخالفة لما عرفت به من قبل وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ .. ان مشكلة «النص» تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي شغلت بال العلماء اليوم . والتي استحدثت بسبها دراسات وعلوم تهدف أول ما تهدف إلى معرفة حقيقة النص الأصل . فحين يمكن تتحقق ذلك تتعدد كثير من المواقف » .

وتقول دائرة المعارف البريطانية :

«إن النسخ الأصلية لكتب العهد الجديد - وهي أغرافية - فتبت منذ مدة طويلة وفيما عدا بعض بقايا من صعيد مصر فإن كل النسخ التي استخدمنا الميسحيون في الفترة التي سبقت مجمع نيقية قد غشتها نفس المصير . وما يحجب ذكره أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل في أي من نصوص العهد الجديد » .

وتشهد الدائرة - ص ٥١٩ - ٥٢١ ج ٣ عن الأنجليل فنقول : «إن التغيرات قد حدثت فيها عن قصد . مثل إضافة أو إدخال فقرات ، كتمها وبالتأكيد فإن بعض منها قد استمد من مصدر خارجي ..» . ويقول فريديريك جرانت . في كتابه الذي ذكرناه ص ٣٢ : إن نصوص جميع المخطوطات الأصلية للعهد الجديد تختلف اختلافاً كبيراً ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيّاً منها قد نجا من الخطأ . ومهما كان الناسخ حي القسمير فإنه ارتكب أخطاء وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية . إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين

الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة ..

• • *

أما عن الجيل مرقس بالذات فإن مرقس لم يكن قد سمع عيسى عليه السلام ولا كان تابعاً شخصياً له لكنه في مرحلة متأخرة كما يقول - بابايس المسيحي المتوفى ١٣٥ م قد نبع بطرس ..
ويقول ليهان في كتابه الذي ذكرناه ص ٣٩

ـ لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ..

• • *

وأما عن الجيل متى :

فيوضح «جون فتون» في كتاب تفسير الجيل متى ص ١٣٦ كيف أن متى كاتب الإنجيل لم يكن هو متى المذكور فيه على أنه تلميذ عيسى عليه السلام ويقرر أن ربط متى (الشخصي) كمؤلف بهذا التلميذ إنما هي محض خيال) ويقول (إنه من المحتمل أن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس الكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل أو معلمها الذي كان اسمه متى ...) ..

أما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فيمكن القول - كما يقول جون فتون ص ١١ انه (كتب حوالي الفترة من ٨٥ - ١٠٥ م) .

وال faktor الرئيسية لهذا الإنجيل تشمل على خطأ الاستشهاد بشهادات الأئمدة القديم . ونوقع نهاية العالم سريعاً وما جاء في خاتمة متى ذكر التعميد باسم الآب والابن والروح القدس . إذ أن هذه الصيغة كما يقول الدكتور

ادولف هرنك في كتابه تاريخ العقبة ص ٧٩ ك ١ .
ص ٧٩ ج ١ .

(غريب ذكرها على لسان المسيح . ولم يكن لها نفوذ في عصر
الرسل) .

• • •

وأما عن الجليل لوقا . فإن لوقا : يعترف بأنه لم ير المسيح ولم يكن من
تلמידيه . ويرجح العلماء كما يقول الدكتور فريديريك كلوفن جرات
في كتابه ص ١٢١ - ١٢٨ أن يكون لوقا قد أصدر الجليله حوالي ٨٠ أو
٨٥ م وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات ذيل كتابه برسالة ثانية هي
(أعمال الرسل) ونشره حوالي ٩٥ م .

هذا وإن كان بعض العلماء الآلان أو الأمريكيين يرجحون القول
بأن مؤلف كل من الانجيل وأعمال الرسل شخصان مختلفان .

• • •

وأما عن الجليل يوحنا : يقول الأستاذ جون مارش في مقدمته لتأثیر
الجليل يوحنا ص ٤٠ :

« من كان هذا اليوحنـا الذى قيل إنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ أى المصادر
كان يعتمد عليها ؟ متى كتب مصنفه ؟ حول كل هذه الأسئلة وحوـل كثير
غيرها توجد ، أحـكام متابـية » . ثم يقول ص ٨١ : « من المحتمـل أنه خلال
السـنوات العـشر الأخيرة من القرن الأول المـيلادـي قـام شخص يـدعـى يـوحـنا
من المـمكـن أن يكون يـوحـنا مرقس خـلافـاً لما هو شـائعـ من أنه يـوحـنا بن زـيدـي
أـحد التـلامـيدـ الـاثـنـيـ عـشـرـ . وقد تـجمـعـتـ لديهـ مـعـلومـاتـ وـفـيرةـ عـنـ بـسـوعـ .
وـمـنـ المحـتمـلـ أنهـ كـانـ عـلـىـ درـائـةـ بـواـحـدـ أوـ أـكـثـرـ مـنـ الـأـنجـيلـ الـمـشـابـةـ بـقـيـ

ومرسى ولوقا - فقام عندئذ تسجيل شكل جديد لقصة بسوع ..
وعلى العموم :

فلقد كتب الأنجليل الأربعية القانونية على مدى فترة زمنية تقدر بأكثر من ٦٠ عاماً ما بين عام ٦٨ م وعام ١٢٥ م - والأخطر من هذا أن أقدمها م بكتب في حياة المسيح ولا عقب رفعه مباشرة أو حتى بعد ذلك ببعض سنين - لكنه كتب بعد ٣٥ سنة مضت منذ وفاة المسيح . خذأ جد العلماء في البحث عن الأسباب التي أدت إلى تأخير كتابة هذه الأنجليل وذكروها أسباباً من بينها أن الغالبية العظمى من المسيحيين الأوائل لم يكونوا المتعلمين . وأن العادة كانت جارية بنقل التعليم الديني شفافاً (وثمة عامل آخر .. الا وهو تفشو فكرة أجيء .. الثاني للمسيح ..) على وجه السرعة حيث يشاهد الجيل الأول هذا أجيئ .. هذا بالإضافة إلى الاضطراب والاضطهاد الذي اتت به الكنيسة في عهدهما الأول ..

فتسأل أشك الجيل الأول الذي عاصر المسيح على الانحراف وتباعد الأمل في تحقيق للجيء الثاني للمسيح ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات وكان هذا العمل من نصيب الجيل الثاني في المبعة وهكذا بدأت كتابة الأنجليل بعد عشرات السنين من رحيل صاحب الدعوة . ثم يفيض المؤلف في ذكر المشاكل الكثيرة التي تحول بين هذه الأنجليل الأربعية وبين الاعتقاد بصحتها أو بكونها وحياً إلى كانيها .. ويصنف هذه المشاكل إلى أربعة أبواب رئيسية تتناول :

التناقضات والاختلافات المائمة بين هذه الأنجليل . وووقعها في خطأ الاستشهاد بالعهد القديم : وووقعها في خطأ تقرير صلب المسيح . وووقعها في خطأ تقرير قيامته .

أما عن التناقضات فيذكر الاختلاف بين متى ولوقا في نسب الميّع . ويعقب على ذلك بقوله (إنه لا يمكن الأخذ برواية أبي من متى ولوقا عن نسب الميّع إذ لو اعتبرنا أحدهما صحيحاً لكان الآخر مخطئاً ولا شائلاً) .

ويذكر الاختلاف بين متى ومرقس من جانب وبين ولوقا ويوحنا من جانب آخر في أسماء التلاميذ . ويعقب على ذلك بقول الدكتور جون برد غورد كبريد في كتابه تفسير الجبل . ولوقا ص ١٠١ . (عندما كتب الانجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ) ويدرك من هذه الاختلافات أيضاً الاختلاف في سرد الروايات المتعلقة بكثير من الواقائع ويدرك بعض الروايات المترافقة في الانجيل الواحد وعلى سبيل المثال ما جاء في الجبل متى من قول الميّع لطرس طبوي للك با حممان بن يوينا أعطيتك مفاتيح ملوكوت السماوات فكل ما ترجمته على الأرض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما تحله على الأرض يكون مسلولاً في السماوات «متى ١٦ : ١٧ - ١٩» .

ثم جاء في هذا الانجيل نفسه بعد هذا القول مباشرة من أن الميّع (ابنها يظهر للياميد أنه يبعى أن يذهب إلى أمritسيم وبستان كثيرون من الشيوخ ورؤساء الكهنة . فأخذوه بطرس إليه وابنها بيته قال للأبا : حاشاك يا رب ولا يكون لك هذا - فالتفت وقال بطرس إذهب عني يا شيطان أنت معذرة لي ولأنك لا تفهم بما الله يعلم الناس) متى ١٦ : ٢١ - ٢٣ ومرقس ٨ : ٣١ - ٣٣ .

ومن هذا التناقض الشديد أيضاً ما جاء في ولوقا ومنى من قول الميّع (كل من أنكرني قدام الناس ينكِر قدام ملائكة الله) ولوقا ١٢ : ٩ - ٨

ومتي ١٠ : ٣٢ - وفي ختام الدعوة جلس المسيح بين تلاميذه
الاثني عشر وفيهم بطرس وقال لهم : (كلكم تشكون في هذه الليلة ..)
فأجاب بطرس وقال له : (وإن شئت فقل الجميع فاتنا لا أشك أبداً ..).
قال له يسوع : (الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح
ديك تتذكرني ثلاثة مرات . قال له بطرس : ولو اضطربت أن أموت
معك لا أنكرك . هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ) متى ٢٦ : ٣١ - ٣٥
مرقس ١٤ : ٢٧ - ٣١ لوقا ٣٢ : ٣٤ .

ونقول الاناجيل إن نبوة المسيح في بطرس قد تحافت . وأنكر
بطرس المسيح ثلاثة مرات أمام الذين قبضوا عليه (متى ٢٦ : ٥٦ - ٥٩)
٧٤ مرقس ١٤ : ٦٦ - ٧١ لوقا ٢٢ : ٥٤ - ٦٠) .

ويقول المؤلف : « بهذا وقع بطرس في المحظور وأنقى نفسه في
دائرة الملائكة إذ لا بد وأن ينكره المسيح أمام الله تحقيقاً لما سبق أن
نطق به ...) .

ومع ذلك يأتي أنه بعد قيامة المسيح وظهوره لتلاميذه عين بطرس
خليفة له فيهم ورئياً عليهم - (يوحنا ٢١ : ١٥ - ١٧)

وهكذا تأتي عشرات الأمثلة على هذا التناقض الصارخ من المقابلة بين
النصوص وتألق أمثلة أخرى على نبوءات نطق بها المسيح ولم تتحقق . فمن
ذلك ما جاء في متى ١٩ : ٢٧ - ٢٩ من أنه قال (مني جلس ابن الإنسان
على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسيتاً تدببون أباطاط
إسرائيل الاثنى عشر . ولقد كان يوذا الأصغر يوطى الخاقان الذي أصبح
يعرف ، بابن الملائكة ، من بين هؤلاء الاثنى عشر وبهذا يستحيل تتحقق هذه
النبوة) .

ومن أجل هذا نجد لوقا ينفي هذا التحديد بالألف عشر في النبوة عند ذكره لها .

ويقول جون فنتون (لعل ذلك يرجع إلى أنه كان يفكر في يهوذا الاسخريوطى) .

ولقد تنبأ المسيح كما نسب إليه بأنه يدفن في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال (متى ١٢ : ٤٠ - ٣٨ ومرقس ٨ : ٩ ، ٣١) ، وبعملية حاسية بسيطة نجد أن الأيام التي قضاها الميت في بطن الأرض - في القبر - كانت يوماً واحداً هو يوم السبت . وعدد الليالي الثلاث : ليلة السبت وجزء من ليلة الأحد على أحسن الفروض .

يقول المؤلف (وبذلك استحال تحقيق هذه النبوة) .
أما عن روايات الأنجيل عن أحداث الصلب فقد اختلفت فيها اختلافاً بيناً شديداً وعلى سبيل المثال :

فقد اختلفت في مقدمته هذه الأحداث - مسح المسيح بالطيب - اختلفت في توقيتها وانختلفت في مكانها ، وانختلفت في شخصية المرأة التي قامت بالمسح وانختلفت فيما فعلته وانختلفت في رد الفعل الذي حدث عند المشاهدين .

كذلك اختلفت الأنجيل في ذكر الأحداث المتعلقة بالقبض على المسيح ، ويستخلص المؤلف من روايات الأنجيل في هذه المسألة ناتج هامة يتباهى على ما جاء فيها من أن المسيح قال لللاميذه « كلكم تشكون في هذه الليلة ، وما جاء في الأنجليل أيضاً من أن التلاميذ لم يشكوا فيه في تلك الليلة .. والتتابع المترتبة على ذلك هي :

إما أن نبوة المسيح يشكّهم لم تتحقق . ويتربّ على هذه النتيجة
نتيجة أخرى هي أنّهم لم يشكّوا لتوثيقهم بتجانه ما يضرّ بصحة
نبوةات المسيح وصحة ما ذكر عن صلبه معاً . وإنّها تحفّقت أي
أنّهم شكّوا في تجانه بالفعل وهذا - يعني ارتدادهم . كما يعني تجانه
أيضاً .

وهيّذا تجاري الروايات المتناقضة في ما يتعلّق بقصة إنكار بطرس .
والمحاكمات التي جرت للمسيح أمام مجمع الكهنة ، وهيرودس .
وبيلاطس . وحاميل الصليب . - واللصين اللذين صبا بجواره ووقف
الصلب . وصلة المصلوب وصراخه على الصليب وموت المصلوب .
وشهود الصليب . وعملية الدفن . ونهاية يهودا . وهلاك يلاطس
وتنبؤات المسيح بتجانه من القتل . وتنبؤات الزامير - التي اعتمدت
عليها الأنجليل بتجانه أيضاً . واختلاف المسيحيين الأوائل في صلب
المسيح واختلاف الأنجليل فيما يتعلّق برواية أحداث قيمة المسيح .
وظهوره لتلاميذه . وشلت التلاميذ في روايات القيمة والظهور .
وصعوده للسماء ، أو نزوله أولاً إلى الجحيم كما جاء في قانون إيان
الرسول الذي نذكر بعض المصادر المسيحية أن تلاميذ المسيح وضعوه
بعد رحيله .

• • •

هل عقلي شيء نقوله لا
نعم ... إن هناك أشياء كثيرة لم تقل بعد وسنكتفي منها ببيان
سريعة فتح أمام عقولنا آفاق البحث عن الحقيقة والحق
لقد اختلفت الأنجليل أيضاً حول قصة شجرة التين التي لعها المسيح

حيث لم يجد عليها ثمرا فجفت ... ولكن متى جفت الشجرة الملعونة هذه ؟
هل تم الخفاف في يوم المحن ؟ أم تأخر هذا الخفاف إلى العد ؟

رواياتان متناقضتان لكل من « متى » ومرقص ..
كما اختلفت الأنجليل حول قصة الجنون والأعمى والحمار ..
فالنجيل لوقا والنجليل مرقص يقرران بأن « الجنون » كان رجلاً واحداً
فقط .. ولكن .. متى يقاسف عدد الجنانيين في روايته ويقول .. « استقيمه
محنيان خارجين من القبور .. » .

وبهذا زاد « متى » عدد الجنانيين واحداً .. !
وقد تكررت الصورة نفسها بالنسبة « للأعمى » ..
فيهما يقرر مرقص ولوقا بأن الأعمى كان رجلاً واحداً . إذا - « متى »
يقول في هذا :

« وفيما هم خارجون من أريحا إذا أعميان جالسان على الطريق ...
لقد زاد متى في العدد أيضاً فبدل أن كان هناك أعمى واحد أصبح
هناك أعميان .. ! وبدلأ من حمار واحد تقرر إحدى الروايات
الإنجيلية أنه كان هناك حمرين ... !
ومن أكثر الأشياء إثارة ما تبأت به الأنجليل من وقائع وأحداث
لا يتحقق منها شيء ... »

وعلى سبيل المثال لقد تبأت الأنجليل بنهاية العالم في القرن الأول
للميلاد .. أي منذ 1900 عاماً على الأقل .

« ... فبني الحق أقول لكم .. لا تتكلون مدن إسرائيل حتى يأتي
ابن الإنسان ... » - - متى الاصحاح العاشر .

أي أن عودة المسيح ثانية إلى الأرض تحدث قبل أن يكمل تلاميذه

التبشير في مدن إسرائيل . وقبل أن يموت بعض معاصريه الذين شاهدوه حياً .

لأن «... من القيام هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكته ...» - متى - الإصحاح السادس عشر .
إلى الآن .. لم يته العالم .. ولم يأتي السيد المسيح ؟!

* * *

هل تريدون مزيداً من الأدلة ... ؟
إليكم هذا النبذة من الولايات المتحدة الأمريكية ..

Readers Digest

«تقوم مؤسسة ريدرز دايخت بإنخراج طبعة جديدة من الكتاب المقدس تختصر منها خمسين في المائة من العهد الجديد وخمسة وعشرين في المائة من العهد القديم ... ١٠
ومن أغرب الأخبار التي أذيعت حول هذه الطبيعة المفترحة أن النساء في الولايات المتحدة يعترضن على الصلاة المسيحية التي تقول : «أبانا الذي في السموات ...» إذ يرون في هذا النص تفرقة بين المرأة والرجل ..
فلهذا لا تبدأ الصلاة مثلاً بـ «... أمانة التي في السموات أيضاً ...» !
وقد اتفق القائمون على أمر هذه الطبيعة أن تغير كلمة «أبانا» بكلمة «الخالق ...» حتى لا تثير المرأة ... ؟

* * *

والآن .. أعود إلى سؤال السيدة «جين» والأنسة «سوزان» ، الذي وجه في بداية الحوار فأقول :
نعم .. نحن نؤمن بالتوراة والإنجيل .. كما نؤمن بالقرآن ...
ولكن .. أين هي كلمة الله في هذا الإنجيل .. وهذه التوراة ... ؟

أين كلمة الله الحقة فيما يسمى بـ "The BIBLE" ؟

أو « الكتاب المقدس » الذي يدرين به يهود ونصارى هذا العصر ؟
 ألا تكون محقدين وصادقين حين تردد مع الدكتور « ويليام جراهام » -
 عميد معهد الدراسات اللاهوتية - جامعة شيكاغو - قوله المشهورة :
 إنه كلام بشر وليس كلام الله ... It is human yet Divine

أفيال المسلمين - بل وغير المسلمين من المنصفين إن هم آمنوا
 وصدقوا كل ما قال به القرآن عن التحريف الذي طرأ على المهدىين
 الجديد والقديس ؟

..... لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب . ويقولون هو
 من عند الله وما هو من عند الله . ويقولون على الله الكذب وهم
 يعلمون (١) .. .

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم . ثم يقولون هذا من عند الله
 ليشتروا به ثمناً قليلاً .. فويل لهم مما كتبوا بأيديهم وويل لهم مما
 يكتبون (٢) .. .

(١) آل عمران ٧٨

(٢) سورة البقرة الآية : ٧٩

الحلقة الثانية من الحوار

- وماذا تقول عن القرآن ؟
- هل احظت بالوحى الالهى كما أنزل ؟
أم طرأ عليه التعرف بمرور الزمن ؟
- وما قصة بحيرا الراهب ... ؟ لقد
قيل إنه أستاذ محمد . وإنه المعلم
الروحي لنبي العرب ... ؟
- نودج من الفكر الاستشراق المفق ...
- التناقض المزعوم بين الذين يعلمون والذين
لا يعلمون
- كارليل يتحدث عن النبي ...

انتهت الجلسة الأولى من الناقشات ... وانتقل المتركون في
الحوار إلى غرفة الطعام لتناول الشاي ..؟ ولكن أي «شاي»؟
لقد استمر الحوار الساخن الذي لم تخفف من حنته عبارات الجاملة
للخلاف بالتحفز ... كانت الأسئلة في قاعة المحاضرات منظمة
ومحكومة بمقاييس الحوار المعروفة .. ولكن .. هنا ين أقداح الشاي ..
وفي غرفة الطعام تغير كل شيء ..

لقد سقطت روح القبيلة .. ووقف كل إنسان شاهراً سيفه ..
وماذا تقول عن القرآن؟ ألم يطأ عليه ما طرأ على الإنجيل والtorah ...؟
ومن كمه؟

أليس القرآن من تأليف محمد؟
أم علمه ذلك راہب؟
لقد قيل لنا إنه أستاذ محمد؟ وأنه المعلم الروحي لنبي العرب؟
وهل سلم القرآن حقاً من التناقض؟

* * *

لقد تحولت قاعة الطعام إلى مساحة حرب .. حرب استخدمت

فيها كل الأسلحة المخزونة في أوكرار الاستشراق ... وحشد لها التبشير
جيشه المدججة بأحدث أساليب الكذب والتفاقد ...
وخرجت من بين شفني ضحكة سمعها البعض .. فقد كنت أتوقع -
سلفاً - هذا المجموع .. وأعرف من تجاربي السابقة ماذا سيقولون ..
إنها قصة الشرق مع الغرب ، أو الحيل مع الذئب ...
قلت للآنسة ماري الطالبة بكلية العلوم - جامعة سيدني : ماذا قرأت
عن الإسلام وماذا تعرفين عنه .. ؟
إن هذه الورقة التي تحملها بين يديك الآن مليئة بالافتراضات
والاكاذيب .

.. مثلاً .. يقولون إن المسلمين يؤمنون بالشيطان .. إن أصغر
طفل من المسلمين يستعبد بالله .. بمجرد ساعده ...
وماذا أيضاً : إن هذه الورقة تصف المسلمين « بالحمدليين » ... إنها
خرافة ثانية .. إننا مسلمون لا حمدليون .
... إن محمدًا نبي من الله ورسول ... فليس لها ولا ابن له ..
بل هو عبد الله كما قرر ذلك عن نفسه ..

لقد اختلطت الأمور في ذهن كاتب هذه الورقة . فهو لا يريد أن يهين
المسلمين من شبهة الوثنية التي تلوّن بها عقائد كثيرة ... وإذا جاز هذا
بالنسبة للمسيحيين فلأنهم يرون في المسيح صورة « الإله » الذي تمجد بشراً
يصلّ عنهم الخطيئة ...

أما عندنا نحن المسلمين . فإن محمدًا بشر . والمسيح بشر وكل
الأنبياء من البشر ..

وإذا جاز أن يكون للمجمع خصوصية يتميز بها على غيره من ناحية
المولد .. فقد كان أولى بهذه الخاصية آدم . الذي ولد من غير
والدة ولا والد ...

* * *

ودقت ساعة الكنيسة .. فعاد الجميع إلى القاعة لاستئناف الحوار
والمناقشة .

وأنخرجت من جيبي نسخة من القرآن .. وبدأت أجيب عن الأسئلة
التي أثيرت - من حوله - سؤالاً بعد سؤالاً ..
لقد كان النبي محمد بأمر كتاب البحري بكتابه ما ينزل من القرآن
وقت نزوله ومن هؤلاء زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وعثمان بن
عفان وغيرهم .

وقد أجمع المسلمون على أنه عليه الصلاة والسلام كان يوقف
 أصحابه عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب آيات السور ويعلّمهم
مواضعها منها . وكانوا يقرءون أمامه على وفق ما رتب وعلم . وقد
ثبت أنه صلى الله عليه وسلم عرض القرآن بعد تمامه عرضتين على
جبريل عليه السلام ، ثم قرأه عليه أصحابه بعد ذلك على الترتيب
الذي نعرفه . فلم يتقلّل عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه حتى كان
القرآن كله مكتوباً يحفظه العدد الكبير من أصحابه ، لكن الصحائف
والألوح التي كتب عليها لم تكن مجموعة بين دفتين في مصحف واحد .
 وإنما جمع في حلاقة أبي بكر الصديق . وذلك أن عمر رضي الله
عنه قال لأبي بكر رضي الله عنهما : إن أصحاب رسول الله يهافتون
على القتال . تهافت الفرائش على النار وأخشى لا يشهدوا موطنًا إلا

فملوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيُضيع وينسى فهلا جمعته؟ ..
فنفر أبو بكر وقال : أَفْعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فتراجعما في ذلك ، ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت - وهو من كتاب الوحي من المحفوظ للتفصين - وعرض عليه قول عمر ، وعمر ساكت ، فنفر زيد كما نفر أبو بكر وقال : فَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عمر : وَمَا عَلَيْكُمَا لَوْ فَعَلْتُمَا؟ إِنَّهُ خَيْرٌ .
وما زال بهما حتى وافقاه .

فجمع أبو بكر الحفظة المشهود لهم بالاتقان ومنهم زيد بن ثابت ،
ولخذلوا يوالون الاجتماع ، وأحضرروا كل ما كانوا قد كتبوا بإملاء
النبي صل الله عليه وسلم ، ثم أخذلوا يقرأون ويقابلون على ما كتب
حتى وصلوا إلى قوله تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنْهُ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ». فلن تولوا فعل
حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم »^(١) .
وهو آخر سورة التوبه فلم يجدوه مكتوبًا ، مع أنه محفوظ ، فازالوا
يبحثون عنه حتى وجدوه مكتوبًا عند أبي حزمية بن أوس الانصاري .
وكذلك آية : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَنِمْ
مِنْ قَضَى نَبِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَرَّرُ وَمَا يَدْلِلُوا تَبْدِيلًا »^(٢) .
فإنهم وجدوها عند حزمية بن ثابت ، فكتبوا القرآن آياته وسورة

(١) آية ١٢٨ ، ١٢٩ من سورة التوبه .

(٢) آية ٤٣ من سورة الأحزاب .

على الترتيب والضبط للذين تلقواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ووضع عند أبي بكر .

فلا توفي كان عند عمر ، وبعده وضع عند أم المؤمنين حفصة بنته
رضي الله عنها وقد انتهت زيد بن ثابت رضي الله عنه في تدوين القرآن
طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر ، فيها ضياع لجياطة
كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ ، وختل دقيق وتحريرات شاملة ،
فلم يكتفى زيد بما حفظه في قلبه ، ولا بما كتب بيده ، ولا بما سمع
بأذنه ، بل جعل يتبع ويستقصي آخذًا على نفسه أن يعتمد في جمع
القرآن على مصادرين أصليين .

أحد هما ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثاني
ما كان محفوظاً في صدور الرجال .

وبلغ من شدة حبطة وحذره أنه لم يقبل شيئاً من المكتوب حتى
يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فلم يعتمد زيد على الحفظ وحده بل جمع بين الحفظ والكتابة ، زيادة
في التوثيق ، وببالغة في الاحتياط .

وعلى هذا النسخة الرشيدة تم جمع القرآن بإشراف أبي بكر وعمر وأكابر
الصحابة وإجماع الأمة وكان ذلك منقية خالدة لا يزال التاريخ يذكرها
بالجميل لأبي بكر في الإشراف ، ولعمر في الاقتراح ، ولزيد في التنفيذ ،
والصحابة في المعاونة والإقرار .

فلما كان عهد عثمان رضي الله عنه ، أشار عليه بعض الصحابة
أن يكتب للناس مصاحف ، ويرسلها إلى الآفاق التي انتشر فيها الإسلام
ليجتمع المسلمون على مصحف واحد ، وحتى لا يقع في القرآن زيادة

ولا نقص ولا تبدل في آياته ، ولا تغير في ترتيبه .
فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في
الصحف ثم نردها إليك .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان وهي الصحف التي جمع القرآن فيها
على عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار
الحكم حول أواخر سنة أربعين وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين
من الهجرة ، فعهد في نسخ المصحف إلى أربعة من خبرة الصحابة
وثقات الحفاظ وهم :

زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير . وسعيد بن العاص ، وعبد
الرحمن بن الحارث بن هشام ، وهؤلاء الثلاثة الآخرون من قريش .
وأخذ الصحابة الأربعة في نسخ المصحف ثم رد عثمان الصحف إلى
حفصة وأرسل إلى كل مصر^(١) . مصحفاً فأرسل إلى مكة والكوفة
والبصرة ودمشق ، وأبقى بالمدية مصحفاً . وأمر بما سواه من الصحف
أو المصاحف أن يحرق وصار الناس يقرأون على مصاحفه ، ويكتبون
منها مصاحفهم . وتتابعوا على ذلك . وقد اشتهر ما كتب بأمر عثمان
بالمصحف الإمام أو مصحف عثمان . وهو المعروف في كلام الآن
بالمصحف العثماني نسبة إلى عثمان رضي الله عنه .

* * *

ونستطيع مما سبق أن نفرق بين مرات جمع القرآن في عهوده الثلاثة :
عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وعهد أبي بكر رضي الله عنه . وعهد
عثمان عليه الرضوان .

(١) زياد بخلة ، مصر . ها المدينة أنه البند

فاجتمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها ، ولكن مع بعثة الكتابة وتفرقها . وكان الفرض من هذا الجمجمة زيادة التوثيق للقرآن ، وإن كان التعويل أيامئذ على الحفظ والاستظهار .

أما الجمجم في عهد أبي بكر رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في صحف مرتبة الآيات مستوفياً له بالتوافر والاجماع . وكان الفرض منه تسجيل القرآن وتقديره بالكتابة عموماً مرتباً خشية ذهاب شيء منه بمماته وحفظه .

وأما الجمجم في عهد عثمان رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل ما في الصحف في مصحف واحد إمام واستباح مصاحف منه ترسل إلى الأفاق الإسلامية .

• • •

بعد هذه المقدمة الموجزة حول القرآن وطريقة جمعه وكذلك انه اسمحوا لي ثانية أن أستعرض بعض العبارات التي كتبها سير ولهم مoir عن القرآن : إن السير ولهم مoir . رجل سحيجي ، وهو في إيمانه المسيحي مؤمن شديد التعصب . وقد ألف كتاباً عن النبي « محمد » وانبهر بالقرآن الذي لم يجد بداً من الاعتراف بصدقه وقدسيته في كل موقف .

يقول السير ولهم :

« إن نظم القرآن ومحنتوانه تتعلق في قوته بدقة جمعه ، فقد خضت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض بساطة تامة . لا تتعصب فيها ولا انكلف ولا أثر لأحد في هذا الجمجم ، سوى التأكيد والمراجعة لكل ما كتب . وهو يشهد بإيمان الجميع وإخلاصه لما يجمع فهو لم يحرز على أكثر من تناول هذه الآيات

المقدمة ووضع بعضها إلى جانب بعض .. والنتيجة التي نستطيع الأطشنان إلى ذكرها هي : أن جمع القرآن لم يكن دقيقاً فحسب . بل كان كما تدل الواقع عليه كاملاً . وأن جامعيه لم يتعمدوا إغفال أى شيء من الوحي ... ونستطيع كذلك أن نؤكد واستناداً إلى أقوى الأدلة أن كل آية من القرآن دقيقة في صياغتها كما نلأها محمد ... »

* * *

غير أن القرآن لم يسلم من التشكيك والطعن . هناك كثيرون من الطاعنين والمشرقين في بلاد المغرب . يرون في القرآن تسمحة محرفة من المهددين القديم والجديد .. وأقصى ما يقدمونه من أدلة يستشهدون بها على هذا الطعن .. هنا التشابه في بعض الأحكام المذكورة في هذا القرآن ، والتي نص عليها الانجيل والتوراة وقد غفل هؤلاء أو تناسوا أن الرسالة الإلهية التي بعث بها كل الأنبياء هي رسالة واحدة وأن الاتفاق فيما بينها هو الأصل وأن الخلاف أو الاختلاف هو الشذوذ الذي يرفضه العقل ..

وحيث يقول القرآن «إن الدين عند الله الإسلام» فإنما يعني بذلك أن الدين الذي اختاره الله للبشرية منذ ظهر آدم أبو البشر وحتى هذا اليوم إنما هو «الإسلام» الذي الانبیاء والخضوع لأمر الله وشرائعه التي جاء بها كل الأنبياء إلى هذه الحياة .

فجميع خلق الله «مسلمون» .. لأنه لا يوجد كائن في هذا الكون غير خاصم لإرادة الله ...

هذا .. فتحن مسلمون .. وأنتم مسلمون .. مسلمون حسب هذا التفسير الذي تعني به وجوه الخلق لرب العالمين . !

فإذا كان في القرآن ما يوجد مثله في الإنجيل والتوراة فلأن المنيع واحد في الأصل .. ولأن التغيير والتحريف الذي وقع لم يذهب بكل ما جاء به الوحي ..

لهذا يضع القرآن المسيحين واليهود في مكانة خاصة ، ويعاملهم دون غيرهم ساءلة متميزة .

لهم مالنا .. وعليكم ماعلينا ..
مثلاً .. لقد أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج بمساوية أو يهودية ولكنه يرفض مثل هذا الزواج بالنسبة للمحنة .. أو وثنية . ولماذا ؟ لأن الإسلام يعترف بأصل ديانة كل من اليهودية والمسيحية ويرى بينه وبين هاتين الديانتين علاقة ورابطة . وكذلك أباح الإسلام طعام اليهود والنصارى ولم يبح طعام غيرهم ..

ومن هنا ... وقع الكثيرون في الخطأ . فقد ظنوا - جهلاً - أن عن سوء قصد - أن الإسلام نسخة مكرورة من كتابكم المقدس وبما أن الإسلام جاء متاخرًا .. فلا بد أن يكون قد اقتبس كل عقائده وأحكامه من الكتب السابقة .

ثم بنوا على هذا الظن - أو سوء النية والقصد - أن محمداً لا بد وأن يكون قد تعرف على بعض اليهود والنصارى ودرس عليهم . نجد هنا واصحاً في قصة «بحيرة الراهب .. أو المعلم الخفي الذي تتلمذ على يديه محمد . أو مؤلف القرآن كما يزعم ذلك جاهل حاقد⁽¹⁾ .

(1) الأب لامانس

لقد تناول هذه «الأضحوكة» الساخرة كثير من المستشرقين - واليهود منهم بصفة خاصة - وفي مقدمة هؤلاء «وهلهم روذرف» الذي وضع كتاباً اسمه «صلة القرآن باليهودية والمسيحية» .

والأساس الذي قام عليه هذا الكتاب هو ما اعتقده المؤلف من أن القرآن من عمل محمد وتفكيره ... ثم يذهب يبحث عن المصادر التي تساعد في هذا الادعاء فلم يظفر بشيء يوثق به .

يقول روذرف⁽¹⁾ : «إذا لم يفترضوا أن نفترض أن اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل على نحو ما إلى مكة التي بعينها أنشأها كثيراً لأنها موطن محمد وإن لم يكن ثم ما يثبت أنه كان بها يهود أو مسيحيون في عهد محمد ، ومن العبر أن نظن أنه كان بها كثيرون ولا لاحفظت لنا السير بأنباء أكثر إسهاباً مما تناهى عنها ..»

وبهذا يقرر بأسلوب علمي إفتخار مكة من أتباع هاتين الديانتين . لأن الأنبياء التي وصله ليس فيها ما يدل على أنه كان بها من يمكن أن يتعلم محمد منهم ما يكون قواعد هذا الدين ..

وبلأى إلى فكرة أخرى ، هي أن مكة كانت مستقرة للتجار بين بلاد العرب وسوريا والعراق ، وأن لتجارها صلات تجارية في الجنوب والشمال ، فلا ريب في أنهم قد اطلعوا على معتقدات حرقائهم ، وأذن فالتجار هم الذين قد نقلوا الفكر المسيحي واليهودي إلى محمد .

وهل كان هؤلاء التجار يهوداً أو مسيحيين ؟ هنا يشعر الكاتب بضعف مستنداته ، فيتساءل عما إذا كان العرب

(1) نقلأً عن «صور استشرافية» للدكتور عبد الجليل شلبي .

الباهاةيون قبل محمد قد عرفا أفكاراً يهودية ومسيحية ؟
ويجيب بقوله : إننا لسوء الحظ نجدنا واقفين على أرض غير مسورة .
إذ ليس هناك أدلة تحدنا بذلك ...

وإذ حار دليل الرجل ولم يجد حجة يرجع إلى القرض الذي افترضه
ليتحذه دليل على نفسه .

إن القرآن به كثير من الديانتين إذ تحدث عن الربانين والأحبار
وأن البيضاوي (المفسر الإسلامي) ذكر أنه كان بالمدينة «مدارس
لليهود» وهي مدرسة كان اليهود يصرون فيها بأمور «دينهم» ولكن
لا يتبغى أن نعزز إليهم علمًا كثيراً ، فقد نقل محمد عنهم معلومات
ضئيلة بها تقص ، ويختلله ثغرات ، ولا يتحمل وحده تبعه ذلك ..
ثم يذكر المؤلف أن كتب السير أوردت بضعة أشخاص يعزى
إليهم أنهم كانوا معلمي محمد ، ولكننا لا نعرف الكثير من أمرهم ،
ومن المعروفيين ورقه بن نوفل وبجيرا الراهب ..
والمؤلف غير صادق فيما ذكر من أن هناك معلمين مذكورين
في كتب السير ، ولو كان صادقاً لسمى هذه الكتب التي أشار إليها ،
وليس هناك كتاب إسلامي فيه شيء من هذا .

أما ورقة فكان من الحفقاء ، وقد مات بعد نبوة محمد بقليل جداً
وهو حين أخبره محمد صلى الله عليه وسلم بأول وحي تلقاه ، أخبره
أنه الناموس الذي أنزل الله على موسى ، وعلى عيسى ، مما يدل على أن
ورقة لم يكن يومن بآن عيسى بن الله ولا فيه جانب إلهي ، وتحقق لو
تطول حياته حتى يؤازد محمداً حين يعلن رسالته ويخرجه قومه من
بلده ، ولكنه مات قبل أن يكلف محمد إنذار عشرته الأقربين

أو بعبارة أخرى قبل أن يعلن دعوته ، والقرآن الذي أُنزل عليه قبل موت ورقة لم يكن به أني تشرع .

على أن رودلف يشعر بالكثير من التردد والتحاذل فيما يورد من شأن محمد وورقة ، فيذكر أن ورقة لم يكن معروفاً بالدقة إن كان يهودياً أو نصراانياً قبل أن يتحنف^(١) ثم يذكر أن بعضهم عزا إليه أنه نسخ أجزاء من الكتاب المقدس ، بل هناك من زعم أنه ترجم تلك الأجزاء .

ولم بين رودلف هنا البعض ، ولا مصدر علمه به ، ولا مصدر علم هذا البعض بما نسب إلى ورقة ، ولا اللغات الأخرى التي كان يعرفها غير اللغة العربية .

والذى ورد عنه في المصادر العربية ، أنه كان طرف بالأفاق لطلب الدين وكراه عبادة الأوثان وكل ما كان منه أنه يتوقع ظهورنبي وأنه بشر محمداً أنه هو النبي المنتظر وأنه سيعادى ويحارب من قومه وتمنى لو عاش حتى يظهر محمد دعوته ليزازره ويقف بجانبه ، وفي هذا الحديث أنه لم يلبث أن مات .

وأما بحيرا ، فهو أحد الرهبان المسيحيين ، وكان هؤلاء صوامعهم على تخوم الصحراء ومنذ عهد بحيري عليه السلام كان هؤلاء أماكن تتوالى عليها جماعاتهم وتنتقل كل جماعة من مكان لأنخر لتحل محلها جماعة أخرى ، وكان منهم أفراد يقيمون على انفراد ، وكان بحيرا

(١) الحنفاء أو الأحناف كانوا يعبدون الله على ملة إبراهيم . وقد تركوا الوثنية كـ ركوا اليهودية والمسيحية . وفي حديث : كيف كان يد الروس ، أنه كان نصراانياً وفي السيرة العلية ج ١ / ١٣٣ أنه كان يهودياً ثم تصرّ ثم تحنف .

واحداً من هؤلاء ، وكان على الطريق المزدي إلى سوريا قريباً من بصرى ؛ تمر به قوافل العرب ذاهبة وآتية ، وكانوا يحملونه أحياناً ، وفي رحلة أني طالب التي صحبه فيها محمد وهو صبي مر به ورأى محمداً^(١) وكانت سنه يومئذ تسعة أعوام ، وقيل كانت الثقة عشرة سنة^(٢) .

وبحيراً لقب لهذا الراهب ، واسمها جرجيس ، وقيل سرجيس ، وكانت سكناه بالبلقاء من أرض الشام .

وقد استضاف تجار العرب في هذه المرة وقال لا ينبغي أن يتخلف متكم أحد وكان محمد قد مختلف لصغره عن شهود مثل هذا الحال وبقي عند رجال القوم فلما أتيأوا بحيراً به طلب إحضاره ، وقد يشره بالنبوة وأشتفق عليه من يهود أن تناه بسوء .

بهذا نرى أنها كانت رحلة عابرة ، ولقاء قصيراً بين عدد من القوم ، وكانت سن محمد لا تؤهله لحضور الحلقات مع الرجال ، وقد افتتح مونتجومري وات ، كتابه . (محمد) بهذه القصة والخذلها موضوع سخرية ، ورأى أنها قصة مصنوعة .

وإذن فلنقطع به أن محمداً كان في سن لا تؤهله لثقلي دراسة . والفترقة التي لاقى فيها بحيراً ، كانت قصيرة لا تعلو فتره تناول طعام ثم إن الرواية كلها ، موضع ثبت ، فكيف يجعل منها مدرسة لتعلم ديانة مستوفاة كاملاً ؟ ثم أنظر كيف يجعلها بعض المستشرقين فربة لا

(١) انظر ابن هتمام ج ١ ص ١١٦ ت عبي الدين ج ١.

(٢) السيرة الحلبية ج ١ / ١١٣ .

أساس لها ، ويجعلها آخر هي حجر الأساس في هذه الرسالة .
وينقل رودلف عن «شبرنجر» فريدة لا وجود لها في غير رأسيها وهي
أن بحيرا - وهو رائد محمد ولوجي إليه - انتقل معه إلى مكة وبقي
بها «يعمل من وراء ستار متخدًا من محمد وسبلة صالحة لدعوة
الكافر إلى نبذ عبادة الأوثان» .

وكل قارئ يلمح هذه الجرأة ويدرك الباعث عليها . وهو تلمس
الكاتب سبباً أني سبب ليهم على الإسلام وبطعن محمدًا صلى الله
عليه وسلم فليس هناك مصدر .. ما .. يذكر أن بحيرا انتقل إلى
مكة ، ثم كيف يتقل زعيم دين انتهت إليه رئاسة الأخبار وصار مرجمهم
وقائد ديانتهم ؟

هل أسلم وترك نصرانيته وتخل عنها إلى دين لم يكن قد ظهر ولم يظهر بعد
حتى مفعى أكثر من ثلاثين عاماً ، والذين الإسلامي يقوم على التوحيد
المطلق فكيف يقوم رئيس النصرانية بتلقي ما يهدم الديانة التي هو زعيم
دعاتها ومعلميها !؟

ويشعر رودلف بضعفه ، وهو لكترة مفترياته يعاوده الشعور
بالضعف كثيراً فيورد سؤالاً لا بد أن يبرز في الذهن ، وهو :
لماذا لم يتبنّ بحيرا نفسه واكتفى بأن يكون من وراء ستار ملقناً
لله ؟

ويجيب على هذا السؤال إجابة لا ينبغي أن نقلتها نحن المسلمين .
يقول : إن محمدًا كان له من حياته وأعماله ما يوحى بصدق
رسالته ... ١١١

وإذن محمد كان مشهوراً بالصدق والأمانة أكثر من رئيس الزهابان .

ومن الرجل الذي انتهى إليه علم النصرانية . ومن كان متتهراً بكل هذا الصدق - كل الصدق - كيف يكلب ويدعى نبوة ليست له ووجهاً لم ينزل عليه .. أيدع الكلب على الناس ثم يكلب على الله ؟ وما حظ بغيرا من هذا العمل ؟ إن محمدًا لم يحارب الوثنية فقط . بل لقد حارب المسيحية المزيفة وأنكر من أول ماجهور برسالته أن يكون الله ولد^(١) وادعاء أن بحيرا رائد الموسوس له يؤذن بأن بحيرا لم يكن يؤمن بمحبته . أو أنه قرأ في دراساته عن هذا النبي فصدقه^(٢) .

ثم هل يتصور بشر .. أن طفلاً لا تزيد سنه عن تسع سنوات أو اثنتي عشرة سنة . يلقي برجل فتعلم منه لعنه .. ثم يلقيه أصول عقيدته وديانته كل ذلك في بضع ساعات ... ؟ هل يتصور ذلك عاقل من البشر ؟

* * *

إن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي سلم من كل تعريف ..
والذي احفظ بنصه الإلهي دون تغيير .

ومن إعجاز القرآن المدهش .. أن المسلمين يعرفون عدد آياته وكلماته بل وعدد حروفه أيضاً ...

إن عدد هذه الآيات كما هو الشائع والمعرف سنته آلاف آية . وعدد كلماته سبع وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، أما حروفه فقد حصرها البعض في ثلاثةمائة ألف حرف وواحد وعشرين ألف حرف ومائة وثمانين حرفاً^(٣) ...

(١) انظر : صورة لسترالية . د. عبد الجليل شلبي . ٦٣ - ٥٠ .

(٢) انظر ابن حكيم - الجزء الأول . الصفحة الأولى ..

(٣) من مخطوطة لسيوط . جمهورية مصر .

كما أن طبع القرآن يخضع لقيود قاسية شديدة ..
متلاً : عندنا في مصر وفي الأزهر الشريف إدارات متخصصة
لمراجعة أي مصحف يطبع ولو ثبت أن حرقاً واحداً أو نقطة واحدة سقطت
أثناء الطبع أمر بإسرار كل النسخ على الفور ..
ولتلرروا الفارق بين القرآن وغيره من الكتب قارنوها بين طبعات
«الكتاب المقدس» .

إن الطبعة الكاثوليكية تختلف عن الطبعة البروتستانتية . والطبعة
الأرثوذكسية تختلف عن طبعات المذاهب المسيحية الأخرى وفي كل
طبعة جديدة تم إضافات وتعديلات تختلف عن الطبعات السابقة .

أما القرآن . فإن النسخة التي بين أيدينا الآن هي نفس النسخة التي كتب
بها القرآن منذ حوالي أربعة عشر قرناً .. إن الكتابة التي كتب بها المصحف
منذ ذلك العهد .. هي نفس الكتابة التي يطبع بها المصحف حتى هذا
اليوم .. وللمبالغة والتشدد في الحفاظ على صورته التي كتب بها أول الأمر .
فإن بعض كلماته التي تختلف القواعد الإملائية المعروفة في أيامنا هذه .
لا تزال كما هي لم تند إليها بد التغيير ، ولم يسع لأحد بأخذات أي تعديل
في نقطة واحدة ، أو حرف واحد ..

أكثر من ذلك .. أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يمكن
حفظه عن ظهر قلب .

لا يوجد في العالم الإسلامي كله مسلم واحد أو مسلمة واحدة لا
تحفظ شيئاً من القرآن ..

والأعجب من ذلك كله .. أن كثيراً من أطفال المسلمين يحفظون
هذا الكتاب بأكمله . وقد قرأت منذ أيام قليلة قصة طفل لم تزد سنه

عن السابعة قد استوعب حفظ القرآن بأكمله ..
 طفل في هذه السن .. يحفظ سور هذا المصحف الذي تزيد
 صفحاته عن خمس مائة صفحة ، إن هذا في جد ذاته معجزة .. ولو كان
 هنا الطفل في أوروبا لمح جائزه « نوبل » المعروفة !

* * *

و قبل أن يسرقنا الوقت و يغرقنا بعيداً تيار المناقشة والبحث أريد أن
 أُثذنكم للرد على ما ورد في سؤال السيدتين « جاكلين . و دوري »
 بخصوص التناقض المزعوم بين بعض آيات القرآن .
 لقد ضربت السيدتان عدة أمثلة لهذا التناقض :

مثلاً : تقول إحدى الآيات « لا تبدل لكلمات الله »^(١) . بينما تقول آية
 أخرى « وإذا بدلنا آية مكان آية »^(٢) .

إن الآية الأولى تعرف باستحالة التبدل لآيات القرآن ... في حين
 تقرر الآية الثانية « إمكانية هذا التبدل للأيات » ..
 وتقول السيدتان أيضاً : إن القرآن فقد منه الكثير بالنسبيان بدليل
 الآية التي تقول : « و اذا كررت إذا نسيت »^(٣)
 ثم تقرران ثالثاً : بأن القرآن فقد منه الكثير بالنسخ بدليل الآية التي
 تقول : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بغير منها أو مثلها »^(٤) .

(١) سورة يونس . ٦٤

(٢) سورة النحل . ١٠١

(٣) سورة الكهف . ٣٤

(٤) سورة البقرة . ١٠٦

وفي النهاية نقول السيدتان : بأن القرآن الموجود حالياً في أيدي المسلمين مرفوع منه آيات . والدليل على ذلك بأنه وجد في مصحف « ابن عباس » ومصحف « ابن كعب » سورة « الخلع » وهو الحد ..

وقد انتفع لي بعد قراءة ورقة هاتين الأخرين الفضليين أنها واقعـان تحت تأثير كتابات المستشرقـن . ووقعـنا في جبال الشكـلـكـ التي تـنـصـصـ فيها بـعـضـ المـشـرـقـين .. والـردـ عـلـيـ هـذـهـ الشـيـاهـاتـ أوـ الـاقـرـاءـاتـ فـيـ غـاـيـةـ الـبـاسـاطـةـ .. وـفـيـ غـاـيـةـ الـوـضـوحـ .. وـلـاـ يـحـتـاجـ مـنـ أـيـ مـسـلـمـ قـرـأـ القرآنـ فـيـ لـقـتـهـ الأـصـلـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ تـحـريـكـ القـلـمـ .. وـالـشـرـوـعـ فـيـ الـإـجـابـةـ عـلـىـ الـفـورـ ..

وهـذـهـ هـيـ الـإـجـابـةـ .. وـسـرـدـ عـلـيـ هـذـهـ الشـيـاهـاتـ بـالـتـرـتـيـبـ للـذـيـ وـرـدـ فـيـ هـذـهـ الـوـرـقـةـ ..

* * *

أـ إـنـ هـؤـلـاءـ الـمـسـتـشـرـقـينـ قـسـلـواـ قـولـهـ تـعـالـيـ (لاـ تـبـدـيلـ لـكـلـمـاتـ اللهـ) عـنـ سـيـاقـهـ هـروـيـاـ مـنـ الـحـقـ إـلـىـ الـبـاطـلـ ، فـالـلـهـ تـعـالـيـ يـقـولـ فـيـ سـوـرـةـ يـونـسـ (أـلـاـ إـنـ أـوـلـيـاءـ اللهـ لـاـ خـوـفـ عـلـيـهـمـ لـاـ هـمـ يـخـزـنـونـ . الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـكـانـواـ يـتـقـونـ . هـمـ الـبـشـرـىـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ وـفـيـ الـآـخـرـةـ لـاـ تـبـدـيلـ لـكـلـمـاتـ اللهـ ذـلـكـ هـوـ الـفـوزـ . الـعـظـيمـ) ..

فـانتـ تـرـىـ أـنـ جـمـلـةـ (لاـ تـبـدـيلـ لـكـلـمـاتـ اللهـ) جـاءـتـ عـقـبـ وـعـدـ اللهـ أـوـلـيـاءـ وـأـحـيـاهـ الـمـؤـمـنـينـ الـمـتـقـنـينـ بـأـنـ هـمـ الـبـشـرـىـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ وـفـيـ الـآـخـرـةـ ، لـتـزـكـدـ هـذـاـ الـوـعـدـ وـتـلـكـ الـبـشـرـىـ ، بـيـانـ أـنـ ذـلـكـ وـعـدـ صـادـرـ عـنـ اللهـ بـكـلـمـاتـهـ ، فـلـاـ سـيـلـ إـلـىـ تـبـدـيلـهـ أـوـ الـخـلـفـ فـيـ ...

وبشراهم في الحياة الدنيا والرؤيا الصالحة في النوم ، وتبشير الملائكة لياهم عند قبض أرواحهم : أخرجني أبنتها الروح الطيبة إلى روح ورخان ورب غير غضبان فتخرج من فم كذا تسلل القطرة من فم السقاء .

وأما بشراهم في الآخرة ، فكما قال تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتفاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) سورة الأنبياء . ١٠٣ .

وقوله سبحانه (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات مجربي من تحتها الأنبار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) . سورة الحديد : ١٢ .

• أما آية التحل (إذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) . فعندها وإذا بدلنا شريعة متقدمة بشرعية متألفة جديدة ، ناسخة للشريعة التي سبقتها لتغيير الزمان والأم . وحدوث التغير والتبدل من أهل الموى في الكتب السماوية السابقة . إذ حدث تبدل شريعة بأخرى لذلك قالوا للرسول : ما أنت إلا مفتر . لأنك خالفت الشريعة التي قبلك :

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الدين آمنوا وهدى وبشرى للصلحين) .

أي قل أيها الرسول هؤلاء المقادين : لست مفترياً على الله بالقرآن ، بل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت المؤمنين بما فيه من الحجج والآيات وهو هدى وبشرى للصلحين لا يعرف قيمته

غيرهم ، فن ذاق عرف ، ومن أسلم عاش في النور ومن كفر عاش في ظلام .

وإطلاق الآية على الشريعة ، لأن الآية لغة بمعنى العلامة ، والشريعة علامة على أنها من عند الله إذا انتفى عنها مازيفه الوضاعون ، وتفسير الآية هنا بالشريعة هو ما رأاه بعض المفسرين .

ومن المفسرين من قال إن المعنى هنا : وإذا نسخنا تشريع آية بتشريع آية أخرى تدرجًا مع البشر من السهل إلى ما فيه بعض المشقة زعموا أنه مفتر وسيأتي الكلام على هذا الرأي في قوله تعالى «ما ننسخ من آية» ..

• • •
(ب) الشبهة الثانية «زعمهم أن القرآن فقد منه كثير بالنسبيان ، بدلليل الآية التي تقول «وادْكُرْ رِبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِنِي رَبِّيْ لِأَقْرَبِ مِنْ هَذَا رِشْدًا» .

هذه الشبهة بمعناها الجهل والتحامل ، فهذه الآية ليست وحدها بل هي مرتبطة بما قبلها ومكملة له ، وليس فيها زعموه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم نسي شيئاً من القرآن ، فحاشاه أن ينساه ، فاقرأوا مع هذه الآية مع التي قبلها مباشرة (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله وادذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدني رب لأقرب من هذا رشدًا ، الآياتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الكهف) .

فأنت ترى أن الآيتين أنزلهما الله تعالى تعليماً وإرشاداً لكل مسلم أراد فعل شيء في المستقبل أن يقول مثلاً : إني فاعل ذلك غداً إن شاء

الله تعالى ، فإنني ربط فعله بمشيئته سبحانه ، ثم نذكر فليقل
إن شاء الله تعالى فما فعل هذا وعسى وفي أن يهدى لافرق منه رشدًا .
ليكون ذلك تكثيراً لبيانه مشيئته الله في عبارته الأولى ..
والحكمة في تعليق الفعل على مشيئته الله أن الإنسان عرضة لبيان ما وعد
به غيره ، أو نسبان زمان فعله أو حدوث ما يخصه منه في الوقت الذي عينه .
فإن تخلف الفعل بحسب شيء من ذلك ، فلا يكون عند الله وعده كاذباً ، لأن التخلف حدث لأمر خارج عن إراداته ، وهو أنه تعالى لم يسا
تحققه في موعده وكثيراً ما يحدث مثل ذلك .

* * *

(ج) الشبه الثالثة - ما زعموه من أن القرآن فقد منه كثير
(بالنسخ) بدللي الآية (ما تنسخ من آية أو تنسأ نات بغير منها أو
مثلها) .

أما قوله تعالى (ما تنسخ من آية أو تنسأ نات بغير منها أو مثلها) .
فليس الأمر في معناها كما زعم الزاعمون ، بل معناها : ما تنسخ
من شريعة سابقة كالبورة والإيجيل ، أو تخللها منية غير معروفة
النصوص كشريعة إبراهيم عليه السلام ، نات بشرعية أخرى مكان
النسخة أو المنية ، وهذه الشريعة الناسخة خير من الشريعة المنسوخة
أو المنية في بعض التشريعات الفرعية المناسبة لحال الأمة التي شرعت
ها ، أو ماثلة لها في الأصول التي لا تتبدل بتبدل المرسلين ولا تتغير
بتغير الزمان ، كتوحيد الله ووجوب العدل بين طبقات الناس ، وبر
والوالدين - إلى غير ذلك مما لا يصح أن تخلو منه شريعة من الشرائع
السماوية .

والذي دعا إلى تفسير الآية هنا بالشريعة السياق الذي سبقت فيه ، فقد تضمنت الآيات التي قبلها أن الله أنزل على محمد آيات بيات ، وما يكفر بها إلا الفاسقون من أهل الكتاب الذين وصفوا بأنهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، وأنهم لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم - وهو محمد صلى الله عليه وسلم - نبذ فريق منهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلوون أنه حق : مع أن كثيرون يشرّطون أنهم بدلاً من أن يتبعوا القرآن اتبعوا السحر ومارسوه ، وهو حرام وقد يؤدي إلى الكفر بمن يمارسه (ولو أنهم آمنوا وانقوا لوثبة من عند الله خير لو كانوا يعلوون) .

ثم بين أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمرجعيين ، لا يودون أن ينزل عليهم من خير من ربهم وأن الله يختص برحمته من بشبه . فلا داعي لحقدهم على نبوة واحدة منبني إسماعيل فإن الله ذو الفضل العظيم .

وبين لهم أن نسخ القرآن لكتابهم لا يحدث منه إلا المنفعة العظمى . فإنه مشتمل على ما هو خير من الشرائع المنسوخة في الأحكام الفرعية المناسبة للأمة المكلفة به ، أو ما هو مماثل لها إذا كان من العقائد وأصول الأحكام التي لا بد منها في جميع الشرائع الإلهية .

ومن العلماء من ذهب إلى أن المراد من النسخ في الآية نسخ بعض الأحكام في الإسلام بأحكام أخرى لصلاحة الأمة الإسلامية على سهل التدرج بهم مثل نسخ التخيير بين الصوم في رمضان وبين الفطر فيه مع القدرة بقوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية) بوجوب صومه على

القادرين الطيبين بشفة وذلك بقوله تعالى (فَنَ شَدَّ مِنْكُمُ الْمُهْرَبِ
فَلِيَصُمِّمَ) .

ومثل النبي عن شرب الخمر قبل الصلاة بقوله تعالى (لَا تَقْرِبُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سَكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) وإياحتها فيما عدا ذلك ؛
فقد نسخ ذلك بتحريمه على الإطلاق بقوله سبحانه (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبِبُوهُ لَعْلَكُمْ
تَفْلِحُونَ) .

وكل ذلك على سبيل التدرج في الأحكام التي تشق عليهم . وكل
من الناسخ والمسوخ موجود في القرآن ليبيان أن التشريع في الإسلام
سلك سبل التدرج في الأحكام الصعبة ، أخذنا سياسة الحكمة في
التشريع للأمة ، وسواء قلنا بالرأي الأول أم الثاني فالقرآن لم يضع
 منه حرف ولا كلمة ولا آية .

ويقول أصحاب هذا الرأي وذلك : إن مثل هذا موجود في جميع
الأديان فأنت إذا قرأت التوراة القى بأيدي اليهود والمسيحيين وجئت فيها أن
نوحًا حين خرج من السفينة أحل الله له أموراً بالنص التالي :
(إِنِّي جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذرتك . وأظلت لكم كناث
العشب ما عدا الدم فلا تأكلوه) ثم حرم على موسى وعلى بي إسرائيل
كثيراً من الحيوان .

وكان آدم يزوج الأخ من الأخت . وقد حرم الله ذلك على موسى
وغيره وكان إبراهيم الخليل قد أمر بنبيع ابنه ، ثم قال له لا تندفعه .
وكان موسى قد أمربني إسرائيل أن يقتلوه من عبد مسمهم العجل . ثم
أمره برفع البيف عليهم إلى غير ذلك من صور النجع . فلماذا لا

يحس هؤلاء بالخشبة في عيونهم ، ويحاولون أن يجدوا قشة رفيعة في عيون سواهم وهي خلية منها .

ولا خلاف بين العقلاه أن شرائع الأنبياء قد صد بها مصالح شعوبهم الدينية والدنيوية ، وإنما تبدل التكاليف حسب تبدل المصالح ، كالطبيب يراعي في علاجه أحوال المريض ، فينقله من دواء إلى إلى دواء حسب تطور حالته .

• • •

د - (الشبهة الرابعة) : إن القرآن الموجود حالياً في أيدي المسلمين مرفوع منه آيات ، والدليل على ذلك أنه وجد في مصحف ابن عباس ومصحف ابن كعب سورة الخلع والحمد ، كذا قاله المرجفون .

هذه الشبهة لا أساس لها من الصحة ، ويكتفي للرد عليها أن الخلع^(١) موجود في القرآن الكريم في قوله تعالى : «فَإِنْ خَفْتُمْ أَنْ لَا يَقِيمَا حَدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَنْتُ بِهِ» .

وأما الحمد موجود في سورة «الفلق» : «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ الْخَلْقِ وَمِنْ شَرِّ خَاتَمِ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقْدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» .

فهل بعد هذه الشبهات الفاسدة من إفلاس . إنه لا قرآن إلا ما أجمع عليه المسلمون منذ الوحي المحمدي حتى الآن ، وهو الذي يقرأونه اليوم وقبل اليوم إلى عهد التوراة وسيظل كما هو ، فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً إلى يوم القيمة وفاء من الله سبحانه بوعده .

(١) الخلع هو طلب الزوجة الطلاق من زوجها على أن ترد إليه ما أخذت منه .

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له لحافظون) .
ولأنه آية الله وحجه على خلقه ، ومعجزته الباقة ما بقي الزمان ،
الشاهد بصحبة دين الإسلام ، في الوقت الذي أصبحت فيه معجزات
الأنياء في ذمه الزمان .

• • •

وبعد ...

فالساعة تقترب الآن من الثانية عشرة .. أشعر بامتناع العقول من
فيض الإيمان والحكمة .. وقد آن الأوان لأنترك مكانى عائداً إلى
المسجد . هناك في شارع كومبونولت .
تجدوني في انتظاركم دائماً ..

لا . بل ستجدون قلوبأ أخرى نيرة ملأها الصفاء بالحب .. الحب
لكل الناس .. مسلمين وغير مسلمين ...

هنا حيث تتلاقى الأديان تحت مظلة الله المقدسة التي تشمل بكل رحمة
العصاة والأثنياء وتهتف الحقيقة بآياتها للبينة بين الأرض والسماء ..
وકأنى بجذركم العظيم «كارليل» يدخل علينا الآن متأبطاً كتابه
الخالد .. «الابطال» فدعونا نستمع إليه قليلاً وهو يتكلم عن محمد
نبي الإسلام ..

• • •

«من العار أن يصفني أي إنسان متدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم
القاتلين . إن دين الإسلام كتب ، وأن محمدأ لم يكن على حن». .
لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة للمخجلة ، فالرسالة
التي دعا إليها هذا النبي ، ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من

الزمان ، ملaiين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملaiين ، وماتت ، أكذوبة كاذبة ، أو خديعة مخادع ؟ ولو أن المكتنـب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً وكان الأجر بها لا توجد .

هل رأيتم رجلاً كاذباً ، يستطيع أن يخلق ديناً ، ويتعهده بالشر بهذه الصورة ؟

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيئاً من الطوب . وجدهم بخصائص مواد البناء ، وإذا بناء فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد فما بالك بالذي يبني بيئاً داعمه هذه التفرون العديدة وتسكه هذه الملaiين الكثيرة من الناس ؟

وعلى ذلك فلن الخطأ أن نعد محمدًا رجلاً كاذباً متصنعاً ، متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطعم .. وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق .

وما كلنته إلا صوت حق صادق من العالم المجهول .. وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله .. وذلك فضل الله يؤتيه من بناء .

إني أحب محمدًا ، لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأي . لا يعتمد إلا على نفسه . ولا يدعى ما ليس فيه . ولم يكن متكبراً ولا ذليلاً فهو قائم في ثوبه المرقع ، كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكسرة العجم وقياصرة الروم . يرشدهم إلى ما يحب عليهم هذه الحياة . والحياة الآخرة .

وما كان محمد بعاشق قط ، ولا ثاب قوله شافية لعب وظفو .
فكان المسائل عنده مسألة فناء وبقاء . وأما التلاعيب بالأقوال ،
والعبث بالحقائق فـا كان من عادته قط .

ويزعم المتصيّبون أنّ محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة
الشخصية والحياة والسلطان .. كلا واسم الله ...

لقد انطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير النفس ، المملوء رحمة
وبراً وحناناً وخبرأً ونوراً وحكمة ، أفكار غير الطمع الديني ، وأهداف
سامية غير طلب الجاه والسلطان .

ويزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً
وأنثاره .

حق وسخافة وهوس : إن رأينا رأيه ..

لم يكن كثيـرـ ، يرضـىـ بالأوضاع الكاذـبةـ ، ويسـيرـ تـبعـاـ للاعتـبارـاتـ
الـبـاطـلـةـ وـلـمـ يـقـلـ أـنـ يـشـعـ بـالـأـكـاذـبـ وـالـأـبـاطـيلـ .

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة ، وبحقائق الكون والكائنات ،
لقد كان سر الوجود يطلع أمام عينه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه ..
هذا جاء صوت هذا الرجل متبعـاـ من قلب الطبيعة ذاتـهاـ ..

ولهذا وجدنا الآذان إليه مصغـبةـ . والقلوب لما يقول واعية .
لقد كان زاهـداـ مـتـقـشـفاـ في مـسـكـنـهـ وـمـاـكـلهـ وـمـشـرـبـهـ وـمـلـبـسـهـ ، وـسـائـرـ
أـمـورـهـ وـأـحـوالـهـ فـكـانـ طـعـامـهـ ، عـادـةـ الخـبـزـ وـالـمـاءـ ، وـكـثـيرـاـ مـاـ تـبـاعـتـ
الـشـبـورـ وـلـمـ توـقـدـ بـدـارـهـ نـارـ .

فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟

فحـيـداـ مـحـمـدـ مـنـ رـجـلـ مـتـقـشـفـ ، خـشـنـ الـلـيـسـ وـالـمـاـكـلـ . مجـهـداـ

في الله دائياً في نشر دين الله ، غير طامع إلى ما يطمع إليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان .

ولو كان غير ذلك لما استطاع أن يلاقى من العرب الغلاظ احتراماً وإجلالاً وأكباراً ولما استطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته ، ثلاثة وعشرين حجة وهم ملتفون حوله يقاتلون بين يديه ومحاذدون معه .

لقد كان في قلوب العرب جفاءً بغلظة ، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلاً ، وأيم الله ..

ولولا ما وجدوا فيه من آيات النيل والفضل لما خضعوا لازرادته ، ولما انقادوا لمشيته .

وفي ظني أنه لو وضع قيصر بيته وصوبخانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبي ، لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته ، كما استطاع هنا النبي في ثوبه للرفع ،

وهكذا تكون العظمة ...

وهكذا تكون البطولة ...

وهكذا تكون العبرية ...

المحتويات

- مقدمة ٥
- الإسلام والمسلمون .. في أستراليا ٧
- الحلقة الأولى من الحوار ٤٧
عندما يتكلّم القرآن ...
من هو خليفة الله في الأرض ؟
البشر كلّهم إخوة ...
عموم النّظرة القرآنية وشمومها ..
الإسلام .. رسالة كلّ الأنبياء ..
دين .. كلّ العصور ...
نعم .. ولكن .. حول التوراة والإنجيل ..
ماذا تقول دائرة المعارف البريطانية ؟
كيف وقع التحرير .. ؟
افتراضات وتناقضات ..
اعتراف علماء اللاهوت ..
التحرير الأخير في أميركا ..
وهكذا تحدث القرآن ...
- الحلقة الثانية من الحوار ٨٩
وماذا تقول عن القرآن ؟
وهل احفظ بالوحى الالهى كما أنزل ؟
أم طرأ عليه التحرير بمروز الزمان ؟

وَمَا قَصْةُ بَحِيرَةِ الرَّاهِبِ ..؟ الْمَقْدِ
فِيلِ إِلَهِ أَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ . وَإِنَّهُ الْمُعْلَمُ
الرُّوحِيُّ لِبَيْنِ الْعَرَبِ ..؟
مُوَدِّجُ مِنَ الْفَكْرِ الْأَسْتَشْرَاقِ الْمُلْفَقِ ..
الْأَنْتَفَضُ الْمُزَعُومُ بَيْنَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ..
كَارْلِيلُ يَحْدُثُ عَنِ النَّبِيِّ ..

رقم الإيداع ١٤٥٣ - الملف ٨٨ - ٢٠٢٢ - ١٦٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

اللائحة التنفيذية لقانون جودة الخدمة رقم ٢٠١٥/٣٧/٦ - رقم، لسنة - مجلس، رقم، ٢٠١٥/٣٧/٦